المبحث الثاني

محاولات الأب: «إيميليو غالينـدو آغيلار» للتقريب بين الأديان

تمثل محاولات الأب الإسباني «إيميليو غالينـدو آغيلار» Emilio Galindo Aguilar للتقريب بين الأديان عموماً، والإسلام والنصرانية خصوصاً، لوناً مميزاً من المحاولات المبذولة في هذا السبيل، إذ تقوم على السعي لتجميع المفكرين المتحررين «المارقين» من كلاَ الديانتين في جبهة واحدة، ونشر أفكارهم وتعزيزها ضمن خطةٍ يرسمها مسبقاً، ووفق أهدافٍ ومنهجية يرتئيها، ويستكتب لها من يصطفيه من المفكرين من الجانبين. ثم يخرجها بصورة كتبٍ متلاحقة عادّاً كل كتاب «مؤتمراً إسلامياً مسيحياً بالمراسلة عن بُعد».

ورغم أن هذه المحاولات تبدو إنتاجاً جماعياً يشترك فيه عدة كُتَّاب، إلا إن الطابع الشخصي، والجهد الفردي الموجِّه لهذه المحاولات، والعمل المؤسسي الذي ينتظمها تحت هيمنة وإدارة الأب «غالينـدو»، حدت بالباحث إلى أن يدرج هذه المحاولة المميزة ضمن المحاولات الفردية.

وتبرز أهمية هذه المحاولة في الجوانب التالية:

أولاً: أنها أول مبادرة نصرانية جادة للحوار العقدي، وبحث النقاط الشائكة التي تتجنبها مؤتمرات الحوار الإسلامي ـ النصراني عادةً، أو تمسها مساً رقيقاً.

ثانياً: انعتاقها من الأطر الرسمية للدول والمؤسسات الدينية التي تتبنى مؤتمرات الحوار غالباً، وتحكمها أعرافٌ تاريخية ومحلية معينة.

ثالثاً: حشد عدد من الكتاب والمفكرين المعنيين بشأن الحوار، وعامتهم من رجال الدين النصارى المتمرسين بالتنصير والحوار، وندرة من الزائغين المنسوبين إلى الإسلام. وقد جرى إثبات تراجمهم في الحواشي بنوع من الاستفاضة ـ نسبياً ـ لإيقاف القارىء على طبيعة الجهود المبذولة علمياً وعملياً في سجلهم الديني[١].

رابعاً: أن هذه الأفكار المطروحة جاءت بعد أكثر من عقدين من الزمان من إطلاق المجمع الفاتيكاني الثاني دعوته التاريخية للحوار ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م، حيث ابتدأ المؤتمر الأول لهذه المحاولات عام ١٩٨٨ والثاني ١٩٩٤م، والثالث ١٩٩٧م، متضمنةً الرؤية النصرانية الحديثة للحوار.

خامساً: الأسلوب السهل في عقد هذه المؤتمرات؛ وذلك عن طريق المراسلة مما يشرع الطريق ـ ربما ـ لمحاولاتٍ مماثلة، تنتظم أعداداً أكبر من هؤلاء المارقين.

أولاً: سيرة ذاتية، وتعريف موجز:

• ولد إيميليو آغيلار بغرناطة «إسبانيا» في ١٧ أغسطس عام ١٩٢٧م، وتدرَّج في السلك الكنسي الكاثوليكي حتى رُسم كاهناً بجماعة الآباء البيض التي تزاول نشاطها التنصيري في أفريقيا، عام ١٩٥٣م. ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة من روما عام ١٩٥٦م، وفي الدراسات العربية الإسلامية من تونس عام ١٩٥٨م، حيث كان متعاوناً مع معهد الآداب العربية (IBLA) الكاثوليكي الفرنسي، لبضع سنوات. وفي مطلع السبعينيات أسس في «مدريد» مؤسسة فكرية تحت اسم «دارِك. نيومبا» DAREK.NUMBA. وقد ساهم مساهمة فعالة في

(١) تم اعتماد تراجمهم كما وردت في كتب غاليندو الثلاثة، مع اختصار يسير.

التحضير لمؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في قرطبة منذ عام ١٩٧٤م، وشغل منصب «الأمين العام» لها، وحيث لم ترضِ طموحه وتطلعاته الفكرية البعيدة فقد أسس جماعة «كريسلام» الآتي ذكرها، لتعبر عن آرائه وآراء أمثاله من المتحررين من القيود الرسمية.

وقد ألف «غالييندو» بضعة كتب كلها تتعلق بالإسلام الذي يمثل هاجساً دائماً بالنسبة له، منها: «الإسلام: أمس واليوم وغداً» مدريد ١٩٦٠م، «خلق أندلس جديدة» ١٩٨٢م، «الصوفيون: أولئك الرجال المقلقون للإسلام» مدريد ١٩٨٣م، «تجربة الإله في الإسلام» مدريد ١٩٨٥م.

كما يدير نشرة دورية تصدرها مؤسسته، عنوانها: «لقاء إسلامي مسيحي»[(١)]، كما أنه بصدد إصدار كتاب آخر عن «الصوفية»، لاعتقاده أنها الطريق إلى «توحيد الأديان»[(٢)].

ثانياً: محاولات غالييندو العملية للتقريب بين الأديان:

ترجع محاولات غالييندو للتقريب بين الإسلام والنصرانية إلى حقبة السبعينيات، حين انعقد أول لقاءٍ إسلامي ـ نصراني في عاصمة الخلافة الأموية، قرطبة، سبتمبر عام ١٩٧٤م، وما تلاه من مؤتمرات[(٣)]، كان يقوم فيها بدور الأمين العام. ويشير إلى تلك البدايات بعبارات فخمة: (بضع مئاتٍ من المسلمين ومن المسيحيين قد تنكبوا الطريق بأملٍ

(١) انظر ترجمته لنفسه في كتاب: «العقيدة للأمام» بالإسبانية FE ADELANTE (١٧٥). ويتضمن أعمال المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بالمراسلة عن بُعد.

(٢) كما أخبرني بذلك شخصياً أثناء زيارتي لمؤسسته، دارك ـ نيومبا في مدريد يوم الأربعاء ٥/ ٤/ ١٤١٩هـ.

(٣) انظر محاولات التقريب في إسبانيا في الفصل الثاني من هذا الباب.

عريض نحو مدينة الخلافة. جميعنا كان يريد نسيان الماضي، وبفضل الأجواء الجديدة للمجمع الفاتيكاني الثاني، التقينا مرة أخرى بعد عدة قرونٍ من الانفصال الأحمق وغير المفيد... كانت له أصداء عالمية، نظراً لما كانت تمثله قرطبة ولا تزال عند المسلمين والمسيحيين. إن تلك الصلاة التاريخية في تلك الجمعة، الموافقة ١٣ سبتمبر ١٩٧٤م، كانت بمثابة انفصام جديد لحجاب التاريخ، وصارت بمثابة مَعلم لبداية كيفية جديدة لرؤية بعضنا بعضاً، ولإقامة علاقات بيننا، نحن المسلمين والمسيحيين، وليس علينا سوى أن نذكر أنه منذ ١٢٣٦م لم تقم صلاة شعائرية إسلامية في الكنيسة ـ المسجد ـ الكاتدرائية)[١].

وقد أسس في مدريد مكتباً لمزاولة أنشطته المختلفة، وسماه دارك ـ نيومْبا عام ١٩٧٠م[٢]. وأراد بذلك الكلمة العربية «دارك» أي بيتك، وكذلك تعني كلمة نيومبا في بعض اللغات الإفريقية، وذلك لاجتذاب المهاجرين من أفريقيا، كما أفادني بذلك بعض من عملوا معه، ويقدم لهؤلاء الوافدين دروساً في اللغة الأسبانية، لا سيما وأنه يتحدث العربية بدرجة متوسطة.

أما الخطوة العملية الهامة التي أبرزت مشروعه للتقريب بين الإسلام والنصرانية، فكانت تأسيس مجموعة «كريسلام» عام ١٩٨٤م. وهو مصطلح نحته غالينـدو من اسمي الديانتين: كريستيانيتي Christanity أي «النصرانية» والإسلام، وركبه تركيباً مزجياً، ليحمل الدلالة على ما تمثله هذه المجموعة. وقد صدر بيان بلغات متعددة، منها العربية عام ١٩٨٤م، يعرِّف بهذه المجموعة، نسوقه بتمامه:

---

(١) من مقدمته لكتاب «العقيدة إلى الأمام» (٧). وفي جملته الأخيرة يوهم غالينـدو أن جامع قرطبة كان كنيسة قبل أن يكون مسجداً ثم آل إلى ما كان عليه.

(٢) يفيده «إهداء» في كتاب «إلى الجذر» الصادر عام ١٩٩٤م، موجه إلى دارك ـ نيومبا في عيدها الخامس والعشرين.

كريسلام
مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية

نحن جماعة نواتها المركزية محدودة العدد بدوافع الفاعلية. متوازنة من حيث عدد أعضائها من المسلمين والمسيحيين، ولا بنية لها سوى تلك القائمة على نشاطها المنبثق عن حياة الجماعة نفسها. وهي ليست مغلقة ولا تستثني أحداً من ميادين نشاطها.

تتألف من مسلمين ومسيحيين مشبعين بالأصول الدينية التي ننتمي إليها، تجتمع لإعادة قراءة تعاليمنا الدينية قراءة مشتركة تستهدف إبراز تطلعاتها الإنسانية، قراءةً ينبغي أن تقوم على التجربة الشخصية الحية والواعية، وعلى المعرفة العلمية لكل من الدينين والثقافتين.

جماعة من المثقفين ليس لهم من غرضٍ سوى تطبيق المنهج العلمي في عملهم: «موضوعية ترفض الأحكام المسبقة، وانفتاح لاستيعاب وجهات النظر الجديدة، وتحليل ناقد تجاه الاستنتاجات التي يتم التوصل إليها» مستبعدين في لقائهم هذا أي موقفٍ تقريظي، أو جدلي، أو تبعي، أو قائم على مجرد استظهار المقولات الدينية المعهودة التي تقف حائلاً دون اللقاء الأصيل.

جماعة من الأحرار المستقلين المنضمين إليها بصفتنا الشخصية المجردة، سواء في نواتها المركزية، أم في الأطر المساعدة. فنحن لا نمثل أي جهة، ونمارس حريتنا أيضاً تجاه الجماعة نفسها، وتجاه المواضيع التي نطرحها للبحث، يستلهم المسلمون منا، مبدأ الاجتهاد المعترف به لكل مسلم تجتمع شروطه، ويستلهم المسيحيون منا نص وروح المجمع الفاتيكاني الثاني.

جماعة ملتزمة بقضية الإنسان، بالفعل أكثر من القول، التزاماً إنسانياً، منطلقه المشاكل الملموسة لإنسان اليوم، مقدمةً لعلاجها القيم

الإنسانية التي تدعو إليها الديانتان، آخذة بعين الاعتبار النظريات المعاصرة في الدفاع عن الإنسان، وباذلةً جهودها في تعرية النظم التي تستلب المرء إنسانيته، لا سيما إذا وجدت هذه النظم اللاإنسانية ضمن مجتمع الديانتين)[١].

تلك هي الوثيقة الأولى التأسيسية لـ «كريسلام»، وهي غير مذيَّلة بأي توقيعات، في جميع النسخ الصادرة باللغات الأخرى. وتكتفي الوثيقة بالإشارة إلى أن الجمعية محدودة العدد في نواتها المركزية، مؤلفة من مسلمين ومسيحيين فقط، ثم تُطنب في النواحي الموضوعية. ولا يكاد يعثر الباحث في نتاج هذه الجمعية على اسم ذي صلة مباشرة بالنواة المركزية سوى اسم غاليندو، نفسه. كما لا يلمس الزائر لمقر «دارك ـ نيومبا» التي تصدر أعمال «كريسلام» وجود أي أعضاء في المكتب المتواضع سوى شخص غاليندو، وشخص أو شخصين يقومان بأعمال السكرتارية والخدمات. ومن بين عشرات المقالات التي تضمنتها إصدارات «كريسلام» الثلاثة ـ حتى الآن ـ لعشرات من المسلمين والنصارى الذين يتفقون مع أهداف «كريسلام»، لم تجر الإشارة إلى نوع ارتباط عملي بالجمعية أو بمؤسسة «دارك نيومبا» إلا في التعريف بالكاتبة: «سيغريد فون ثيميل» بوصفها: عضوة بمركز الأبحاث الإسباني العربي والإسلامي المسيحي ـ دارك ـ نيومبا[٢] ـ، وذلك ما يؤكد ما سلف من بروز الجانب الفردي لإيميليو غاليندو في هذا المشروع، وإن كان يحرص في كتاباته على صبغها بصبغة «الجماعية» و«الدولية».

---

(١) PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO - CHRISTIAN. P. 19.

(٥) Crislam, nuevo estilo «بالإسبانية» نشرة لقاء إسلامي مسيحي. عدد كريسلام. أسلوب جديد.

(٢) انظر: العقيدة إلى الأمام (١٣٩).

وقد أظهرت الوثيقة التأسيسية السالفة تعريفاً مقتضباً لجماعة «كريسلام» تشعر بأنهم جماعة متحررون من الأحكام المسبقة والمقولات الدينية المعهودة، وأنهم يعيدون قراءة التراث الديني بروح إنسانية معاصرة، بذريعة «الاجتهاد» من طرف المسلمين، ونص وروح المجمع الفاتيكاني الثاني[1] من طرف النصارى، مع التأكيد على الصفة الشخصية للأفراد، والاستقلال التام عن أي مؤسسة قائمة، بل والسعي لتعرية تلك المؤسسات والنظم ـ الدينية خاصة ـ التي تستلب الصفة الإنسانية، وتحول دون تلاقي الديانتين، وذلك في إشارة واضحة إلى التمرد على الهيئات الدينية التقليدية، التي يعلم غالييندو ورفاقه مسبقاً أنها ستعدهم مارقين.

وقد أُتبعت الوثيقة السالفة، ببيان إلحاقي يعيد التعريف بالجماعة، ويلقي الضوء على منهجها في العمل وموقفها من المؤسسات الدينية، ننقله بتمامه أيضاً:

كريسلام
مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية

كريسلام هي جماعة من المثقفين المسلمين والمسيحيين، أحرار، ومستقلون، ملتزمون عقائدياً مع قضية الإنسان، إسهاماً في حل المشاكل الحية الراهنة المنبثقة عن الرسالتين الدينيتين، وتعرية للبُنْيات التي تحرم الإنسان من إنسانيته، ولا سيما إذا كانت قائمةً في المجتمع الديني نفسه. وهي تعلن:

١ ـ أنها تستقي وعيها من الدينين معاً، وتعيد النظر في أنظمتها المذهبية، لصياغتها بشكل يعين على النمو الروحي لكل الناس نمواً أفضل.

---

(١) راجع التعريف به في الباب الأول مبحث (حقيقة التقريب لدى الكنيسة الكاثوليكية).

لذا تعلن اعتقادها بأن المؤسسات الدينية وأساليبها وسلطاتها ينبغي ألا ترغم الفرد وتضطهده، لأن هذا يعد خطأ أخلاقياً، وعدواناً على حريته، كأحد حقوقه الأساسية وخاصة إن كان باسم الله أو الدين.

وهي تصرح بموقفها النقدي إزاء التفسيرات الشبه دينية، والشبه إنسانية، التي تتظاهر بالدفاع عن الإنسان، بينما في الواقع تخدم مصالح خاصة سياسية أو اقتصادية.

٢ ـ على المؤسسات الدينية أن تجعل من مبدأ مساواة جميع الناس في حقوقهم الأصلية عنصراً من عناصر سلوكها.

لذا تعلن الجماعة اعتقادها بأن كل ما يخرق هذا المبدأ، سواءً في المحيط المذهبي الشخصي، أو بالنسبة للديانات الأخرى، يتناقض مع الرسالة الدينية الحقيقية التي تكرم الإنسان كعضوٍ في الأسرة البشرية الكبرى، بصرف النظر عن مميزاته الفردية. وتعلن موقفها النقدي بإزاء أية عنصرية تمارس ضد الأقليات الدينية أو الجنسية أو العرقية أو الثقافية، كمحاولة لرفض سماتها وخصوصيتها.

٣ ـ على المؤسسات الدينية أن تستهدف الدفاع عن حريات الإنسان كإحدى غاياتها الرئيسية؛ لذا تعلن الجماعة مساعدتها لكل عمل يرمي إلى تحقيق حرية الضمير، والتدين، وإعلان العقيدة، واختيار شريك الحياة في الزواج، وتربية الأبناء، والتعبير الأيديولوجي، وإبداء الرأي في الدين.

وإذاً، تعلن الجماعة موقفها النقدي تجاه المحاولات التي يمكن أن تمارس لأسبابٍ عقيدية على الأشخاص، سراً أو علانية، فردياً أو جماعياً. ويجب أن يكون الإقناع هو روح المؤسسات الدينية، بدون ضغطٍ مباشر أو غير مباشر. والواقع أن هذا هو عملها النبيل ومنهجيتها

الوحيدة المشروعة، فالسبل القسرية تولد التعصب والتطاحن والعقد النفسية المختلفة. كما أنها في النهاية تحط من قيمة الإنسان وتحرمه من الأخوة الحقيقية مع جميع البشر. وبالتالي، وبهدف جعل هذا البيان حيوياً، بل باعثاً على إرادة جديدة، والتزامٍ تضامني، ينشىء «كريسلام» هيئةً دائمة ذات غايتين:

■ تربوية تسعى لخلق عقلية جديدة، وإيجاد التفاهم والمصالحة والتعاون والأخوة بين كل الناس. ويتحقق هذا من خلال دراساتٍ جدية يقوم بها متخصصون ينتمون إلى الدينين معاً، الإسلامي والمسيحي، مستعينين بذوي النيات الحسنة، المستعدين لتقديم التعاون في مجال ما أسميناه «ميادين الأنشطة» في وثيقتنا الأولى التأسيسية. وستكون هذه الدراسات أيضاً مادة لازمة، ووسيلة لتحقيق عملنا الثاني:

■ تعرية كل الأعمال المذهبية والقانونية والاجتماعية والبنيوية التي تمارس أو تعلن أو تشجع لأسباب دينية، والتي تحرم الإنسان من إنسانيته في عالمنا الإسلامي والمسيحي الفسيح)[1].

وهذا البيان يكشف عن الموقف «المستوفز» لجماعة «كريسلام» تُجاه المؤسسات الدينية، إسلامية ونصرانية، التي تتوقع إدانتها لما ستتقدم به من أفكار ناسفةٍ للثوابت العقدية لدى الجانبين، ومن ثم تعيد ضخ مبادىء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باتجاه المؤسسات الدينية في خطوة وقائية. وتشفعه ببيان منهجها في تحقيق أهدافها تربوياً ـ أي فكرياً هنا ـ وعملياً.

ويدرك «غاليندو» أن مشروعه للحوار الإسلامي المسيحي المتحرر

---

(١) PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO - CHRISTIAN. P. 17. 18.

«بالإسبانية» نشرة لقاء إسلامي مسيحي. عدد (٥) Crislam, nuevo estilo كريسلام. أسلوب جديد.

من المرجعيات الدينية، المحتكم لغايات الانفتاح وتوحيد الأديان والتقاليد والثقافات، سوف يكون مرفوضاً من جميع الأطراف المؤسسية، ويعبر عن هذا الإدراك في مواضع عديدة من تقدماته لنصوص مؤتمرات الحوار عن بعد ـ بالمراسلة ـ نقتطف منها:

(.. هذا شيءٌ في يومنا هذا، لا تقبله بطبيعة الحال، أيٌّ من المؤسستين الدينيتين لأن ذلك يتطلب بالتبعية، عدم المناداة بداءة الأمر بثقافةٍ أو بدينٍ معين..

ولن يحدث وقوع الأديان بسبب ذلك في النسبية المتشكك فيها، كما يفسرها ويخشاها كل حراس الأرثوذكسيات)[١].

(.. إن المذاهب والمؤسسات بسبب طبيعتها الداخلية المنحازة، لا تستثني غيرها، لكونها في رأيها المالكة للحقيقة المطلقة، فضلاً عن الخوف الرهيب من المنافسة)[٢].

(ينبغي التخلص من وصاية المؤسسات الدينية، التي أثبتت أنها بدلاً من أن تكون بمثابة مساعدة، فهي عقبة إضافية)[٣].

وقد أفصح «غالينـدو» في مواضع عدة عما يعني بالمؤسسات الدينية التي تمثل عقبة كأداء في طريق مشروعه التقريبي بين الإسلام والنصرانية، إذ يقول: (هناك قطاعان ممن دعوناهم، كانا عسيرين بصفة خاصة؛ فمن ناحية أولئك المثقفون المسلمون ـ وهم قليلون في يومنا هذا ـ أولئك الذين يراهنون على التشكك، والتقدم بأسئلة، ومن يفعل ذلك فهم منشغلون، ونطلب منهم عن طريق الدعوات الكثيرة أن يتقدموا بأسئلتهم، وتشككاتهم، ربما أيضاً لأن أمامهم، ما زال هناك طريقٌ

(١) (العقيدة للأمام) (١٢ ـ ١٣) ـ من مقدمة المؤتمر الأول بالمراسلة عن بعد.
(٢) (من تقولون أني هو) (١٣) ـ من مقدمة المؤتمر الثالث بالمراسلة عن بعد.
(٣) العقيدة للأمام (٨).

ينبغي أن يقطعوه، وهم يتعرضون لأخطار أكبر لعبور هذا الطريق، رغم تجربة أساتذة الشك.

ومن ناحية أخرى، السلطات الكاثوليكية، ونقصد بهم رجال المؤسسة الدينية الكاثوليكية الذين ينبغي عليهم أن يهتموا، ويلتفتوا أكثر وأكثر، بما هو مستقر عندهم، أكثر من البحث عن شيءٍ جديد)[1].

ولم يكشف «غاليندو» وجه العسر من جانب السلطات الكاثوليكية! لقد استدرك عليهم ـ فقط ـ عدم اهتمامهم أكثر وأكثر بما هو مستقر عندهم، من البحث عن شيءٍ جديد. فهل يعني بالاستقرار هنا «بلوغ الحقيقة» وفق العقيدة النصرانية لدى الكاثوليك ـ وهو أحدهم ـ فعلام يبحثوا عن شيء جديد؟ أم يعني بالاستقرار «كثرة الأتباع» فلا داعي لإضافة أتباع جدد، بل ينبغي الاهتمام بما لديهم؟ والأمر غامض مريب على كلا التقديرين، في حين أن نقده المرير واضح جداً بالنسبة للطرف الإسلامي، الذي لا يجد منه التجاوب الذي يريد من إعلان الشك والرفض والتمرد، ويحاول أن يفسره تارة بالانشغال، وأخرى بالخطر المضاعف. ويزيد النقد وضوحاً حين يقول: (... الحقيقة جعلتنا منذ بداية الأمر ندفع الثمن: دعوة عدد متماثل من الشخصيات المسيحية والإسلامية، وكانت هذه الأخيرة أقل تجاوباً بكثير.

وثمة معلومة أخرى أكثر إيضاحاً لهذه المشكلات ذات العمق تمنع إجراء حوار حقيقي إسلامي ـ مسيحي: إن الحوار مع المسلمين لا طائل من ورائه؛ ومن بين عقباتٍ أخرى يمكن أن نذكر المتحدثين المسلمين أنفسهم، فليست لديهم رغبةٌ في الحوار، كما أنهم غير مؤهلين للدخول في حوار حقيقي. لذا فمن النادر ما يأخذون المبادرة

(١) إلى الجذر (١٠ ـ ١١) من مقدمة المؤتمر الثاني بالمراسلة عن بعد.

بأنفسهم بدعوة المسيحيين، باستثناء لقاءات تونس المشرِّفة[١]. وعلى سبيل العموم يقتصر الأمر بالنسبة لهم على المجاملة رداً لدعوة الجانب المسيحي... فالمسلمون ليس فحسب تنقصهم المبادرة في مثل هذه الحوارات، بل إنهم يسبحون ضد التيار. وليست تنقصهم التعليلات لتبرير هذا، فخروجهم منذ وقتٍ قليل من ربقة الاستعمار الاستيطاني الذي أخضعهم له الغرب المسيحي، وعدم ثقتهم إزاء احتمال عملية تبشيرية، وعقدتهم بأنهم آخر دين، والدين النهائي، ونقص تطبيق العقل الناقد لمصادر الرسالة. وفي حوارنا الإسلامي المسيحي دائماً ينقصنا محاورٌ قدير على مستوىً رفيع كنظيره. أما القلة الذين هم هكذا فيوصمون بأنهم متغرِّبون، وخارجون عن الفكر الإسلامي الحقيقي)[٢].

إنَّ الرجل يتحسر بمرارة أن لا يجد من الجانب الإسلامي من يجاريه في مروقه وزندقته، فاللاهثون خلف سراب «الحوار الإسلامي ـ المسيحي» من المسلمين في هذه الأزمان لا يبلغون شرطَه المتناهي في التحرر والانفلات، ولا يطفئون غلَّته في التخوَّض في دين المسلمين، وهو يبحث عن «محاور قدير على مستوى رفيع كنظيره» يريد نفسه ورفاقه، وهو ما لَن يجده إلا في سراديب إخوان الصفا، وفتوحات ابن عربي الباطنية. ولكنه يعزي نفسه بمقولةٍ مارقة تفوَّه بها بعض المنتسبين للإسلام، فيتابع قائلاً: (لذلك، هنا، والآن، ينبغي لنا أن نتابع رجاء الدكتور أركون[٣]، الموجَّه إلى المسيحيين «كي لا يفقدوا الأمل أمام التكتلات التي تسد الطرق، وأمام الرفض وعدم التفهم، ونقص استعداد المسلمين)[٤]،

(١) يقصد المؤتمرات التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. انظر الفصل الثاني من هذا الباب.
(٢) العقيدة إلى الأمام (١١).
(٣) محمد أركون: تقدمت ترجمته (٧٦٤). انظر مبحث: الإسلاميون العصرانيون.
(٤) العقيدة إلى الأمام (١١).

وسوف يبدي المبحث التالي سر عدم التجاوب من جانب المسلمين وطبيعة المطالب الحوارية التي يروج لها غالييندو من خلال كريسلام.

• من خلف مكتبه في غرفة صغيرة في شُقَّة بأحد شوارع مدريد، عقد إيميليو غالييندو ثلاثة مؤتمرات دولية! وذلك بالمراسلة ـ عن بعد ـ كما يسميها، إذ يطرح في كل مرة جملة من التساؤلات والتشككات على من ينتقيهم من الجانبين الإسلامي والنصراني، بالمراسلة البريدية، ثم يضم ما تلقاه من إجابات بين دفتي كتاب، بعد أن يضع له مقدمة، ويسهم بدوره في الإجابة على ما طلب بنفسه، ويؤطره بعنوانٍ ذي دلالة رمزية، ويسميه «مؤتمراً»، رغم أنه لم يجر لقاء أو نقاش بين المؤتمرين، ولم يظلهم سقفٌ واحد. (كريسلام أرادت فقط أن تحتضن وأن توسع مدى تفكيرهم، ومدى صيحاتهم في هذا العالم)[1].

وقد عدَّد غالييندو الأسباب التي دعته إلى انتهاج هذا الأسلوب المميز في الحوار بالمراسلة، بأربع نقاط، نوجزها كما يلي:

(١ ـ حينما يتفكر المرءُ في خلوته ووحده، يصير الأمر أمامه أسهل، للهروب من الرقابة الذاتية النفسية، ومن الضغوطات الخارجية، فمهما كانت الأفكار واضحةً أمام الشخص، أثبتت لنا التجارب، أنه حينما يختلط الصدق مع الهرطقة، يجنح الإنسان للظهور أمام جمهور الحوار بمظهر الاستقامة الدينية، والسير على الخط الموروث حتى لا تنزع عنه صفة التمسك بالدين.. ويعرف الجميع أن الاستقامة الدينية، والتشبث بالحذافير قد جرجرتنا إلى رفض التشكك.

٢ ـ لما كان هذا المؤتمر بغير تنظيم من أية هيئة أو مؤسسة دينية، ولا سياسية، فإمكانات استقلاليته باتت أكبر، فالمشاركون فيه كانوا يعلمون ما سيفعلونه بصفتهم الشخصية، منفصلين بأنفسهم عن

(١) من مقدمة «غالييندو» لأعمال المؤتمر الثاني بالمراسلة (١١).

بعض الوظائف الهامة التي كان من المحتمل أن يتبوؤها حتى في مؤسسة من المؤسسات، حينما لا يتحدثون كناطقين باسمها...

٣ ـ ... العنصر الاقتصادي. ونحن ـ بفضل الله ـ فقراء. وإنجاز مؤتمر هو أمرٌ مكلف. وكل من قام بترتيب مؤتمر دولي يعلم ميزانيته الباهظة: الرحلات والفنادق والقاعات والترجمة الفورية، والإداريون الخ الخ، وليس هناك من يعطي شيئاً بدون مقابل...

٤ ـ خطرٌ آخر مؤكد في المؤتمرات، خاصة حينما يتعلق الأمر بالموضوعات الدينية، وذاك هو: الغرق في اعتبارات نظرية وعلمية متفادياً الموضوعات الحقيقية والمحددة، والتي مع كونها حاضرةً في نفس الجميع، فإنها تطرح جانباً، فيستغرق الإنسان في مناقشاتٍ طويلة، لا تفتح باباً، وتؤدي في نهاية المطاف إلى الانغلاق بصورة أكبر)[١].

إن الباعث الحقيقي وراء هذه الأسباب ـ بما فيها الاقتصادي ـ هو رغبة غالينو الجارفة للغوص في الجوانب العقدية الحاسمة التي تفصل بين المسلمين والنصارى، وتململه من الأداء الشكلي لمؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي التي تشتغل بالقشور، ولا تنفذ إلى اللب تحاشياً للخلاف الأكيد. وقد قوَّم المؤتمرات الرسمية وشبه الرسمية للحوار بقوله: (إن الشيء الوحيد الذي تم بوضوح في تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي، كان الخبرة الواقعية في المداراة)[٢]. أما القضايا الأساسية العميقة فـ (لم يكن من أحدٍ يستطيع أو يجرؤ على أن يتطرق إليها بعمق أو أن ينكرها، خشية أن يقطع هذا الخيط الرقيق أو الرهيف في علاقاتنا، وبذلك فإننا نطفىء الومضة الضعيفة الواهنة للحوار)[٣].

---

(١) العقيدة للأمام (٩ ـ ١٠).
(٢) العقيدة للأمام (٨).
(٣) إلى الجذر (٧).

وقد صدق «غالينـدو» في هذا، وأن تجارب الحوار الإسلامي المسيحي تتحاشى التطرق لأصول الاعتقاد خشية الافتراق، ولا نختلف وإياه، بل نحن ـ المسلمين ـ أشد حرصاً على الوضوح والعمق والقصد إلى أصول الخلاف بدلاً من الاشتغال بالمجاملات الباردة، وهواية جمع أوجه التشابه، ولكن إلى ماذا يرمي «غالينـدو» من دعوته للحوار الحقيقي العميق؟ هذا ما سيكشفه المبحث التالي إن شاء الله.

ثالثاً: محاولات «غالينـدو» الفكرية للتقريب بين الأديان:

على مدى عشر سنواتٍ ـ تقريباً ـ أنجز الأب غالينـدو ثلاثة مؤتمرات بالمراسلة، كان فيها «العقل المدبر» في التخطيط والتنفيذ، وجمع مادتها في ثلاثة كتب، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة، ذلك أن هذه المؤتمرات سلسلة مترابطة يحاول «غالينـدو» أن يصل في نهاية المطاف إلى نظرية متماسكة في مشروعه التوحيدي بين الأديان.

وسوف نسير مع هذه المحاولات الثلاث لتبين معالم فكر غالينـدو ورفاقه.

أ ـ المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة. تنظيم كريسلام: العقيدة للأمام. المشكلات الجوهرية أمام الحوار الإسلامي المسيحي عام ١٩٨٨م.

في مقدمته لأعمال هذا المؤتمر، الأول، أشار غالينـدو بعباراتٍ مشرقة إلى مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في قرطبة، وكان آخرها الذي زامن عقد هذا المؤتمر، الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة. وَعَدَّ غالينـدو أعضاء «كريسلام» أفضل ورثة على ما اصطلح على تسميته «روح قرطبة» في المؤتمر الأول الذي عقد في عام ١٩٧٤م، ثم يقول: (جاء المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بالمراسلة، لا لتكرار ما تم حينذاك، بل لنطرح على أنفسنا بصدقٍ وموضوعية وشجاعة، الموقف الحالي للحوار الإسلامي

المسيحي، وبعد تشخيص ذلك الموقف، نفتح سبلاً للمستقبل)[١].

وتشخيصه للحوار أنه «يمر بأزمة عميقة»، وأنه كوّن «خبرة واقعية في المداراة»، وأن المتحاورين يلتقون «مقلدين النعامة» التي تدس رأسها هرباً من مواجهة الحقيقة.

وبعد حملة قوية في الدعوة للتشكك استعان فيها بمقولاتٍ لبعض أئمة المعتزلة والمتكلمين، طرح ثلاثة أسئلة، قد وجهت للمساهمين في هذا المؤتمر:

(١ ـ في رأيك: ما هي الموضوعات ذات العمق التي لا نتطرق إليها بتعمق، والتي ينبغي أن لا تصير بعد ذلك أمراً «لامساس به» حتى يتطور الحوار بيننا بصدق؟

٢ ـ ما هي، في رأيك، الأسباب المحددة التي تدفعك إلى الاعتقاد بأن تناول هذه أو تلك من الموضوعات أمرٌ أساسي من أجل حوار حقيقي؟

٣ ـ اقترح بإيجاز منهجية لتناول وتطوير هذه الموضوعات من أجل أن تكون مساعينا مثمرة فعلاً)[٢].

وقد نشر غاليندو في كتاب «العقيدة للأمام» خمسة عشر مقالة، سوى ما كتبه هو، ثلاثة منها فقط لكتابٍ يحملون أسماء إسلامية، والباقون نصارى، وصدَّر كل مقالة بنصوصٍ مختارة أراد إبرازها، لكونها تتفق مع أفكاره الخاصة. ونعرض أدناه مقتطفاتٍ من تلك النصوص:

---

(١) العقيدة للأمام (٧، ٩).

(٢) المرجع السابق (٩).

١ ـ المونسينور: هنري تِيسير[١] «Monsenor Henri Teissier»:

• (في الحقب القادمة ستكون العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واحدة من المكونات الرئيسية للسلام في العالم.

• الحوار الإسلامي المسيحي يرتكز من الجانب المسيحي على نصف قرن من الإعداد. ومن جانب المسلمين، فهم الآن يسبحون ضد التيار.

• المتحاورون المسيحيون والمسلمون لا تساندهم مجتمعاتهم بصورة متساوية.

• المسلمون الذين يبذلون جهودهم لحمل مجتمعاتهم للحوار مع الآخرين لا يتبعهم رجال الدين. وليس بإمكانهم إلزام جماعاتهم بتغييرات عقلية لها وزن.

• إن نقد مصادر التقليد الإسلامي ـ بالمعنى الحديث للكلمة[٢] ـ هو أمرٌ غير مقبول حتى الآن في المجتمعات الإسلامية.

---

(١) ولد في مدينة ليون «فرنسا» عام ١٩٢٩م. درس بفرنسا والمغرب والقاهرة والجزائر. حصل على الإجازة في اللاهوت، وعلى دبلوم في اللغات السامية من المعهد الكاثوليكي في باريس. حصل على الجنسية الجزائرية عام ١٩٦٩م، وشغل المناصب التالية:
مدير مركز اللغات والكهنوت في الجزائر من عام ١٩٦٧م ـ ١٩٧٢م.
أسقف وهران. عام ١٩٧٢م، كبير الأساقفة في الجزائر عام ١٩٨١م.
عضو الأمانة الفاتيكانية لغير المسيحيين منذ عام ١٩٧٣م، وعضو المجمع الكنسي منذ عام ١٩٨٣م.
من مؤلفاته: الكنيسة في الإسلام، تأملات حول الوجود المسيحي في الجزائر.

(٢) إن مصطلح «تقليد» ـ «Tradition» الذي يعبر به النصارى عن مجموعة النظم والآداب والأعراف الدينية لدى المجتمعات غير النصرانية، مرفوض من وجهة النظر الإسلامية. ذلك أن العبادات، أو نظم الحياة المختلفة في الإسلام ليست تقليداً ذا مصدر بشري، بل هي مقتضى الرسالة الإلهية، والوحي الذي نزل على محمدٍ ﷺ.

• إن التصريحات الرامية للمصالحة الصادرة عن اللقاءات الرسمية، لا تتطابق مع أي تغير حقيقي في السياسات الدينية، وبصفة خاصة مع الأقليات)[١].

إن هذه التقريرات من محاور نصراني ضليع، ذي منصب كنسي رفيع ـ أسقف الجزائر ـ لتكشف عن روح الإحباط، والتململ، واستبطاء النتائج والثمار المرجوة من الحوار، والشعور المؤلم بأن محاوريهم من المسلمين لا يمثلون وزناً في مجتمعاتهم الإسلامية، ولا تأثيراً على القيادات الدينية.

٢ ـ محمد أركون[٢]:

• (لا يزال هناك مجال للتقدم برجاءٍ للمسيحيين حتى لا ييأسوا أمام الانغلاقات والرفض، وعدم التفهم، ونقص الاستعداد، والتأهيل عند المسلمين.

• كذلك كي يأخذ المسيحيون أكثر على محمل الجد ضرورة إحداث ثورة اجتماعية، كشرطٍ مسبق لأي حوار إسلامي مسيحي يهودي، وهو حوار في نهاية المطاف سيعاش ويمارس على أساس أنه غزو لفكر ديني جديد.

• إنه في داخل منظور دلالي، مُختَلّ، مُعَمَّم، وغير منضبط، ينبغي التفكر حوله، ليس الآن حول الحوار الإسلامي المسيحي، وهو إطار ضيق إلى حدٍ كبير، وتعبير تخطيناه، بل حول رجل الدين الذي نتخيله.

• قبل الجلوس للتناقش حول عقائد الأديان، المنمطة والمفروضة من لدن لاهوتيين محدودين بثقافة زمانهم، من الضروري التعجيل

(١) العقيدة للأمام (١٥).
(٢) سبقت ترجمته (٧٦٤).

بالعمل حول كيفية عمل مجتمعاتنا ونظمنا السياسية وثقافاتنا)[١].

هذا اللون من الكتاب المتهالكين على الغرب النصراني هم بغية غاليندو، وعزاؤه، كي يكون طليعة للتبشير بالفكر الديني الجديد، وإعادة توصيف رجل الدين المطلوب للمرحلة.

٣ ـ رايموندو بانيكّار «Raimundo Panikar»[٢]:

• (إن القضية التي تطرحها آسيا وأفريقيا أو أمريكا هي إيضاح: إن كانت المسيحية تريد أن تظل ديانة توحيدية ذات صبغة إبراهيمية، أم أنها مستعدة للانفتاح على مَيْل واستعدادٍ لا ريب فيه، بدون أي ثقة أخرى، سوى الإيمان بالمسيح، وبدون أي ضمانةٍ أخرى، سوى وعد الروح.

• إن المحجر البشري للأسرة الدينية ـ الثقافية ـ الإبراهيمية التي تندرج فيها المسيحية والإسلام، ليست هي العرق ولا الثقافة الوحيدة، ولا أيضاً الطبقة الدينية الوحيدة في محجر الإنسانية.

• جميع الكتابات المقدسة، والصياغات جميعها يمكن أن يفهم من زاوية خاصة، فليس هنالك ولا يمكن أنه يوجد رؤية وحيدة إنسانية عالمية.

• يستلزم عقد لقاء ديني حقيقي، قبولاً حقيقياً، من الجانبين، بأن كتبهم الدينية وكذلك مفاهيمهم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية، إنما هي صحيحة ومفهومة في سياقٍ معين.

---

(١) العقيدة للأمام (٢٩).

(٢) ولد في برشلونه عام ١٩١٨م لأبٍ هندي وأم كاثوليكية. دكتور في الكيمياء والفلسفة واللاهوت رسم كاهناً عام ١٩٤٦م، أستاذ بعددٍ من الجامعات الأوروبية والأمريكية والهندية. من مؤلفاته: الهند: أهلها وثقافاتها ط ١٩٦٥م. الآلهة والرب. ط ١٩٦٧م، السر والتنزيل ط ١٩٧٠م الحوار بين الأديان. ط ١٩٨٥م. كتب حوالي ثلاثين كتاباً، وقرابة ألف مقالة. العقيدة للأمام (٣٧).

• إن الإيمان الحي يتخطى حدود كل إيمانٍ أرثذوكسي[١]، فيهرب من عبء التاريخ ومن ذكرياته الثقافية المكتوبة)[٢].

ولعل هذا الكاتب من أقرب هؤلاء لفكر غاليندو، في دعوته للانفتاح العالمي الذي يخلص «النصرانية» نفسها من الصبغة الإبراهيمية، وإشادته بالنسبية والتعددية، وهي المعاني التي يدندن حولها غاليندو، ومن ثم يكثر الاستشهاد بأقواله.

٤ ـ رفائيل إيستبان بيراستيغي[٣] Rafael Esteban Verastegui :

• (لقد تطورت لغة التعبير الديني عندنا، عبر العصور، ليس في مناخ لقاءٍ سلمي وبنَّاء مع المؤمنين من ديانات أخرى، ولكن بعكس ذلك في مناخٍ يسوده التريُّب والتعارض والخوف، ورغبة في غزو الآخر.

• نحن بحاجةٍ إلى لغة تواصلية مع أشخاصٍ من ديانات ومعتقدات أخرى...

• الحوار لا يمكن أن يقوم به رجال اللاهوت، بل من قبل أشخاصٍ عبر أزمات جذرية وصلوا إلى ما وراء اللاهوت..

---

(١) مراده بـ «الأرثذوكسية» هنا العقيدة الرسمية المعترف بها لدى كل دين، وهي تعني من حيث الوضع اللغوي «الاستقامة العقدية». انظر: المورد (٦٣٩).

(٢) العقيدة للأمام (٣٧).

(٣) ولد في بيتوريا ـ إسبانيا ـ عام ١٩٣٩م، رسِّم كاهناً عام ١٩٦٤م، حصل على الدكتوراه في اللاهوت من روما عام ١٩٦٨. عين أستاذاً للاهوت في غانا على مدى ست سنين ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦م. كان مديراً لمركز المعلومات والتوثيق الإفريقي «CIDAF» سيداف، التابع للآباء البيض ومقره مدريد. حالياً هو أستاذ في الديانات الإفريقية والإسلام والتنمية الاقتصادية لبلدان العالم الثالث في معهد البعثات التبشيرية بلندن. من مؤلفاته: الديانات غير المسيحية على مدار التاريخ، «الخلاص» عام ١٩٦٩م، المغامرة المسيحية الرامية إلى التقاء الأديان ط عام ١٩٧٨م. العقيدة للأمام (٤٧).

• التاريخ جعلنا جميعاً أصوليين، فقد ألفنا استخدام قناعاتنا أو «حقائقنا» كسلاحٍ قاذف يمكن لنا به أن نهزم العدو.

• لا يمكن إقامة لقاءٍ بين الأديان، لأجل الله... اللقاء لا يمكن أن يتم إلا عند الاحتياج لله، إلى العطش إليه)[١]، ويلتقي مع غالييندو في فكرة اللغة الدينية الجديدة لتحقيق التواصل بين الأديان.

٥ ـ مونسينور: بيير كلافري[٢] Monsenor Piere Claverie:

• (الحوار ليس أمراً ثابتاً جامداً، بحيث يظل كل جانب متخندق في مواقفه، أو محاولاً جذب الآخر نحوه، بل إنه موجودٌ بداخل البحث عن الحقيقة الإلهية، التي لم يمتلكها أحدٌ بكاملها.

• من جانب المسلمين، فمن النادر أن تجد متحدثاً يكون من الناحية الفكرية والثقافية معاصراً لأقرانه المسيحيين. والعلوم الإسلامية مهما كان تطورها في إطار منطقيتها وعقلانيتها لم تخضع حتى الآن لتجربة «أساتذة التشكك» التي اعتورت الفكر الغربي.

• إن غياب الروح الناقدة شبه الكامل، وكذلك نقص التساؤلات يمنع التقدم في الفهم، ويقصر الحوار على التأكيدات القاطعة، والتي طبقاً لها فإن كل قضية تطرح تكون غير مقبولة، ويمكن أن تكون حتى تجديفية.

• أعتقد ضرورة العودة إلى الحاجة، وأيضاً التعجل في عقد

---

(١) العقيدة للأمام (٤٧).

(٢) ولد في الجزائر عام ١٩٣٨م. التحق برهبانية القديس دومينغو، حصل على الإجازة في اللغة العربية، نشر ترجمة لمصنف ابن رشد «تهافت التهافت». كان مديراً لمعهد الدراسات الأبرشية في الجزائر. وفي عام ١٩٨١م عيّن أسقفاً لطهران. من مؤلفاته: «حول تحول شخصٍ لدينٍ آخر». العقيدة للأمام (٥٧).

حوار في «الحقيقة». وهذا يترتب عليه أن نحترم بعضنا بعضاً بدرجة كافية تتيح لكلٍ منا أن يجد نفسه بحرية كاملة)[١].

إن هذا اللمز والطعن الذي ينبز به هؤلاء النصارى الضالون، المسلمين وعلومهم، في محاولة لاستدراجهم وإغرائهم بولوج غياهب الظلمات التي تخبط بها أسلافهم من أهل الشك والضلال ليذكرنا بموعظة الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]:

٦ ـ عبد الرحمن شريف شيرغي[٢]:

• (الحوار بين الأديان يصبغ الدين بصبغة لاهوتية، في حين أن الدين ينبغي أن يصطبغ بصبغة «إنسانية». وهو ينطلق من فرض نفسه، بينما الدين هو الحرية. ولدي انطباعٌ بأنه لن يكون هنالك حوار ما، إن انطلقنا من فرضيات لاهوتية مسبقة. على النقيض من ذلك فالله يوحِّد بيننا، واللاهوت يفرقنا. فبدلاً من اللاهوت، فليكن عندنا الناسوت، فعلينا أن نعيد للإنسان وضعيته من الله وإليه، كمصدر للمحبة والأخوة والتحرر)[٣].

لو لم يصدَّر هذا النص بالاسم الإسلامي «عبد الرحمن»، لم يخامر القارىء شك بأن كاتبه نصراني متحرر، لم يشم رائحة الإسلام! والعبرة بالمعاني لا الأسماء.

---

(١) العقيدة للأمام (٥٧).

(٢) ولد في الناضور ـ المغرب ـ عام ١٩٣٩م. بعد إتمام دراسته الثانوية في المغرب شرع في دراسته العليا في مدريد، فحصل على الإجازة الجامعية في الفلسفة والآداب، قسم علوم التربية بجامعة مدريد المركزية. وحصل على العالمية في علم النفس من جامعة مدريد المستقلة، وعمل بها أستاذاً بقسم اللغة العربية. من مؤلفاته: الجانب الإنساني والجانبي الإلهي في الشريعة الإسلامية، المفهوم الذاتي عند ابن عربي. العقيدة للأمام (٦٧).

(٣) العقيدة للأمام (٦٧).

٧ ـ أنطونيو كاسترو ثافر[١] Antonio Castro Zafra:

• (إن الموضوع الأساسي الذي يسد سبل أي مشروع للحوار بين الأديان هو أن كل واحدةٍ من المجتمعات الدينية تجعل الحقيقة هي حقيقتها وحدها، والحقيقة الكاملة لها وحدها.

• إن مشكلة سلطة رجال الدين تبدو إن لم تكن أولى المشكلات، فإنها بالفعل إحدى القضايا الرئيسية أمام أي دين، أمام أي حوار مفيد بين الأديان.

• إن مجتمعاً دينياً بدون سلطة، أو بالأحرى وأكثر دقة، إن مجموعة من المجتمعات الدينية المتحاورة تنسلخ من السلطة، يمكن أن تحدث هزة عنيفة في مواقف كل مجتمع.

• حينما يكون أحد المجتمعات الدينية قد تنازل رسمياً، وبصراحة، عن العزلة الناجمة عن استثناء الآخرين، وعن القدح في الآخرين، أي في السلطة، فالخطوة التالية ينبغي أن تكون صبغ هذا المجتمع بالتسامح...)[٢].

هذا هو شرط الحوار كما يراه دهاقنة «كريسلام»: الانخلاع من الجذور، والحيدة عن الثوابت، وهز ثقة الأمة بعقيدتها، فيذروها كالمعلقة.

---

(١) ولد في «مالقة»، إسبانيا ـ عام ١٩٢٨م، وحصل على الإجازة في التاريخ الكنسي من جامعة غريغوريو في روما. حصل على الإجازة في القانون المدني من جامعة مدريد المركزية. صحفي. من مؤلفاته: روما والقسطنطينية، المجمع الفاتيكاني الثاني، سيرة يوحنا الثالث والعشرين، بيو الثاني عشر: هكذا صرت بابا. العقيدة للأمام (٧٩).

(٢) العقيدة للأمام (٧٩).

٨ ـ جورج قنواتي[(١)]:

• (مما لا غنى عنه، ضرورة انتقاء من نتحدث إليهم. لقد أثبتت التجربة أن التوجه إلى من يمثلون الإسلام رسمياً، «الأزهر وغيره من الهيئات الإسلامية»، هو بمثابة التعرض لحوار الصُّم. فهؤلاء الأشخاص ينتمون إلى قرون أخرى. والحوار معهم حوار عقيم وخَطِر.

• إن مفهوماً دينياً تقوم عليه الدولة يكون بالضرورة حكماً شمولياً، فهو يستحيل سياسياً واجتماعياً إلى حكم قهري)[(٢)].

• إن هذه الكلمات نفثات مصدور، أبلى شبابه في ترسيخ جمعية «الإخاء الديني»، و«الأيام الدومينيكانية» في «القاهرة»، منذ عام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، وحز في نفسه عدم مسارعة أهل الإسلام إلى فكرته، وإنكار علمائهم لها.

٩ ـ فيديريكو بيروني[(٣)] Federiceo Peirone:

• (لدي انطباع من جانب ومن آخر، أنّه تسود حالة خوف من

---

(١) جورج بن شحاتة قنواتي: مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينكان الكاثوليك في العباسية بالقاهرة. ولد سنة (١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م) في الإسكندرية، من أصل سوري، وتخرج مهندساً كيماوياً في جامعة ليون ـ وانضم إلى الرهبانية الدومينكانية عام (١٩٣٤م) وتخصص في الفلسفة واللاهوت، واشتغل بأعمال ابن سينا، وابن رشد. وكلف من قبل جامعة الدول العربية بالبحث عن مخطوطات ابن سينا في مكتبات العالم، ونشر نتائج بحثه عام (١٩٥٠م) في كتابه: «مؤلفات ابن سينا». توفي سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).
انظر: تتمة الأعلام. محمد خير رمضان يوسف (١/١١٨)، ذيل الأعلام. أحمد العلاونة (٦٠).

(٢) العقيدة للأمام (٨٩).

(٣) ولد في «تورين» ـ إيطاليا ـ دكتوراه من جامعة لشبونة عنوانها: «المسيح عيسى في القرآن» دبلوم في اللغة العربية من تونس. أستاذ لمادة «نظرية الإسلام» بكلية «ميلات»، وأستاذ مساعد للغة العربية وآدابها في جامعتي=

التطرق بعمق للموضوعات التي تفرق بيننا، خوف أنه يوجه أحدنا إهانة للآخر. لذا ينبغي علينا أن نتقبل بهدوء الانتقادات والملاحظات من جانب المسلمين. أقول: بهدوء. ولكن أيضاً نريد المقابل لذلك: أن يقبل الجانب الإسلامي وجهة نظرنا بهدوء.

• حتى الآن، فإن اللقاءات الإسلامية المسيحية للحوار، قد اقتصرت على عروضٍ تتسم بالنفاق بصورة أو بأخرى، «أو على الأقل متذبذبة»، حول ما يوحد بيننا في مجال «الأنثروبولوجيا» أو الحياة المنصرمة.

• إن التأكيد الذي يقول، إنه في نهاية المطاف، يوجد إلٰه واحد، متساو بالنسبة للجميع، ومن ثَمَّ فالمسلمون والمسيحيون هم في مكانهم الصحيح، إنما هو تأكيد لا يتجاوب والحقيقة. إن هذا مكانٌ مشاع وسطحي.

• حينما نتكلم مع مسلمين من غير المثقفين نأخذ انطباعاً بأن حواراتهم إنما تدور دائماً حول الفكرة الثابتة، والتي مؤداها: نفي ألوهية عيسى)[1].

وتلك نصوصٌ صريحة وخطيرة في تقويم تجربة الحوار الإسلامي ـ المسيحي المنصرمة، وطبيعة الحوار والمتحاورين، صادرة عن عضوٍ في اللجنة الدائمة للحوار في الفاتيكان، وإن بصفته الشخصية، كما أكد غالييندو.

= تورين، وبافيا. عضو ومستشار باللجنة الدائمة للحوار الإسلامي المسيحي. أهم أعماله ترجمة معاني القرآن بتعليق وملاحظات باللغة الإيطالية عام ١٩٧٩م، طبعت أكثر من خمس طبعات، «الحركة الإسلامية في ميلان» ط ١٩٨٣م، الروحانية الإسلامية. ط ١٩٨٣م، ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (٩٧).

(١) العقيدة للأمام (٩٧).

١٠ ـ عبد الوهاب بوحديبة[١]:

• (إن الجهل المتبادل لكل طرفٍ نحو الآخر، يبدو في رأيي هو أكبر عائق أمام الحوار. وعلى أساسه فإن كثيراً من المسلمين لا يشعرون على الإطلاق بأي نوع من الاهتمام بممارسة ذلك.

• هناك مشكلة ضخمة تُسَمِّم حوارنا: موقفنا تجاه اليهودية، ينقصنا أن نجابه ذلك وجهاً لوجه وبشجاعة.

• وحقيقة الأمر، فالذي يحدث هو كما لو كان الحوار الإسلامي ـ الإسلامي يُعَدُّ شيئاً أصعب، وبالتالي أكثر أهمية من الحوار الإسلامي ـ المسيحي. ولما كان ينقص المسلمين مؤسسة توحيدية وتنسيقية على شاكلة «الكنيسة» أو «مجمع الأساقفة» فإن المسلمين يتفرقون)[٢].

١١ ـ موريس بورمانس Maurice Bormans:

• (إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين، دائماً، منذ نشأة الإسلام الأولى كان أمراً صعباً.

• أوَ من الممكن أن نُخضع، على قدم المساواة، النصوص المقدسة، «الكتاب المقدس والقرآن» لنفس متطلبات النقد التاريخي.

---

(١) ولد في القيروان ـ تونس ـ عام ١٩٣٢م. حصل على دكتوراه الدولة من باريس عام ١٩٧٢م. عمل أستاذاً لعلم الاجتماع الإسلامي في جامعات تونس وكيبك ومنتريال وليبج ولوفانيا وأبيجان. خبير دائم بهيئة اليونسكو في الفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢م. خبير بهيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان منذ عام ١٩٧١م. مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بجامعة تونس منذ عام ١٩٧٢. عضو مؤسس ونائب رئيس الرابطة التونسية لحقوق الإنسان منذ ١٩٧٨م. رئيس اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان منذ عام ١٩٨٣م، من مؤلفاته: الجنس في الإسلام. ط ١٩٧٥م، الحوار والسياسة ط ١٩٧٩، سبب الوجود ط ١٩٨٠م. العقيدة للأمام (١٠٧).

(٢) العقيدة للأمام (١٠٧).

• يوجد خطر قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، متناسين البحث عن الله في العالم المعاصر.

• إن الرجال القائمين على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين فعليهم التزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر بحقه في القيام بمهمته الرسولية، بل وأيضاً واجب القيام بعمل تبشيري.

• قد يكون من قبيل اللعب على المكشوف قبول حرية أن يغير المرء دينه، حينما يكون ذلك بمحض الإرادة، بقرار نضج بعد وقتٍ طويل ولأسبابٍ جادة. المسيحيون تنازلوا عن تطبيق أي عقوبة في حالة الرد.

• توجد عقبة يبدو من الصعوبة بمكان إمكان تخطيها، تتعلق برسالتين عالميتين تتجابهان، وتتنافسان، وتتجاهل كل منهما الأخرى. وهناك صعوبة أخيرة يصعب إلى حدٍ كبير إعطاء تفسير مشترك لها، وتلك هي المتعلقة بحقوق الإنسان في يومنا هذا)[1].

١٢ ـ سيغريد فون ثيميل[2] Sigride Von Thimmel:

• (إن ديانتين توحيديتين تتصارعان بسبب مفهومهما عن الإله إنما يبرهنان على أنهما ديانتان شركيتان.

• إن كان الإسلام هو ما يطرحه كتعريفٍ له ممثلوه الرسميون، فليس يستأهل أن نشغل أنفسنا به. فمن يهمه في عصرنا هذا، دين

---

(١) العقيدة للأمام (١١٧).

(٢) ولدت في برشلونة ـ إسبانيا ـ وحصلت على الإجازة الجامعية في تاريخ العصور الوسطى. عضوة بمركز الأبحاث الإسباني العربي والإسلامي المسيحي «دارك ـ نيومبا». من مؤلفاتها: غاية نحو المشرق، والخروج من ناحية الغرب. ط ١٩٧٧م، كتب المرحلة الثانوية والإسلام، مقالة في العدد ٦ من نشرة لقاء إسلامي مسيحي ط ١٩٨٣م، مزامير صوفية ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (١٣٩).

وكيفية حياة شديدة القسر والقهر[١] كذلك متعصبة، متحزبة؟

• فقط بسبب العقلية السائدة في الكتاب المقدس، يصبح من الممكن أن نفسر لماذا تنزعج الكنيسة المؤسساتية على الدوام، بمجرد أن ينبري أحدٌ للحديث عن إلهٍ يحب بالتساوي جميع البشر، ويحترم بالتساوي حرية كل فرد)[٢].

وصاحبة هذه الأفكار الجريئة الفجّة، عضوٌ في «دارك ـ نيومبا» التي يديرها غاليندو.

١٣ ـ جوسيت جيان غوينول[٣] Jeusset Jean Gwenole:

• (إن النقاط التي أشعر أنها تحاصر اللقاء بين جماعتينا، يمكن أن أوجزها في خمس: صعوبة قبول التعددية الدينية، الاتفاق المؤلم حول معنى الكلمات، الاعتراف عسير المنال بالآخر، مشكلة التحول لدين آخر، وعدم وجود مقابلة بالمثل للنقد الذاتي.

• في يومنا هذا فإن النقد الذاتي غير معترف به حتى الآن في الإسلام، كحاجة.

• يجد المسلمون أمراً عادياً تماماً أن يعترف المسيحيون لأخوتهم بحق الانتقال للإسلام، وأقران المسلمين الذي قد يرغبون في التحول للمسيحية، أليس بإمكانهم الحصول على نفس الحرية؟

---

(١) انظر في بيان هذا المفهوم النصراني الباطل للإسلام: توجهيات في سبيل الحوار. لموريس بورمانس (٩٩ ـ ١٠٠)، (١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) العقيدة للأمام (١٣٩).

(٣) ولد عام ١٩٣٥م في فرنسا. التحق بالآباء الفرنسيسكان عام ١٩٥٤م، ورسِّم كاهناً. رحل عام ١٩٦٨م إلى ساحل العاج، وتولى شؤون العلاقة بالمسلمين عام ١٩٦٩م. وفي نفس العام عين عضواً باللجنة الأسقفية للعلاقات مع المسلمين غرب أفريقيا، ثم رئيساً للجنة الدولية للفرنسيسكان للعلاقات مع المسلمين. من مؤلفاته: صديق الإله وصديقنا: الحاج أبو بكر ساخو. ط ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (١٤٩).

• في هذه الحياة نحن نعيش معاً متساوين. أهذا يكون أمراً متمشياً مع الإيمان الإسلامي؟ هذا السؤال الذي يفرضه المستقبل، والذي لا نفتأ نشير إليه)[١].

والجواب على هذه التساؤلات النابعة من روح الحسد والرغبة في استزلال المسلمين نحو الكفر قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم]، وقوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

١٤ ـ غبريال عبّود أوزون[٢]:

• (على أساسٍ من الثالوث: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة، يرتكز هذا الاستئثار بين عناصر لها ـ حسب قولها ـ نفس إلهٍ واحد.

• إن «نرجسية»[٣] الأديان تحمي وتنمي الطفولية الأبدية لتابعيها، وتعوق الوصول لسن البلوغ في العقيدة.

• نحن جِدُّ أطفال، فنضع ونفرض على الله الكلمة الأخيرة، وحدوداً ضيقة لمحبته للبشر، وتنزيل تاريخي واحد وأوحد.

• نحن ننسى، بسبب نقص النقد الذاتي، أنه بسبب أن الأمر يتعلق بحدثٍ تاريخي، أنه ما من تنزيل مكتوب يمكنه أن يحتوي، ويحدد كلمة الله)[٤].

---

(١) العقيدة للأمام (١٤٩).

(٢) ولد في حلب ـ سوريا ـ عام ١٩٤٥م ـ حصل على الجنسية الإسبانية. ودرس الطب في بلنسية وغرناطة. تخصص في علم النفس بالمستشفى الإكلينيكي بمدريد.

(٣) النرجسية: حالة الشخص المستغرق في حب ذاته والإعجاب بها. نسبة إلى زهرة النرجس، كما في أسطورة يونانية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٨٢٩).

(٤) العقيدة للأمام (١٦١).

١٥ ـ بول خوري[١]:

• (إن التساؤل حول الدين، وأساسه هو الوسيلة الوحيدة لفك جمود الحوار بين الأديان، وإعطائه مضموناً.

• المسلمات العقدية ينبغي أن يحل مكانها موقف ناقد. ينبغي جعل الأشياء المطلقة أموراً نسبية.

• التسامح يفترض وجود علاقة تفوق وتَدَنِّي؛ الحوار يفترض المساواة بين الأشخاص والجماعات.

• فقط نحتاج لشيءٍ ضروري: أن نعيش الإيمان: بمعنى أن يترك الإنسان نفسه يعمل حسب المعنى الذي يسكن بداخله. وفقط الإيمان هو الذي يقود إلى الله)[٢].

وبتحليل النصوص التي أبرزها «غاليندو» من إجابات المشاركين في مؤتمره الدولي بالمراسلة عن بعد، لمعالجة «المشكلات الجوهرية أمام الحوار الإسلامي المسيحي»، والإجابة على أسئلته الثلاثة حول الموضوعات العميقة التي يتحاشاها الحوار، وأسباب أهميتها ومنهجية تناولها، نجد أولاً إجماعاً على نقد مسيرة الحوار، وعدم نهوضه بالتطلعات التي يرجوها المشاركون على اختلاف انتماءاتهم الدينية والطائفية. فالحوار بين المسيحيين والمسلمين، دائماً، منذ نشأة الإسلام الأولى كان أمراً صعباً (بورمانس)، والآن، فإن اللقاءات قد اقتصرت على عروضٍ تتسم بالنفاق بصورة أو بأخرى، أو على الأقل متذبذبة

(١) ولد في لبنان عام ١٩٢٢م. كاهن يوناني ملكاني، دكتوراه في الآداب من جامعة ليدن بهولندا. أستاذ الفلسفة بجامعة الكسليك من مؤلفاته: الإسلام والمسيحية، حوار ديني وتحد معاصر. ط ١٩٧٣م، قراءة في الفكر العربي ط ١٩٨١م. العقيدة للأمام (١٩٣).

(٢) العقيدة للأمام (١٩٣).

(بيروني)، والتصريحات الرامية للمصالحة الصادرة عن اللقاءات الرسمية لا تتطابق مع أي تغير حقيقي في السياسات الدينية (تيسير).

ومن ثم فسنقوم بتلخيص أبرز العوائق التي تعترض «الحوار الحقيقي» في نظر الدائرين في فلك «كريسلام»، ثم نتبعها بالحلول والاقتراحات التي يستشرفونها للمستقبل.

أولاً: العوائق:

١ ـ **المسلمون أنفسهم**: لأنهم الآن يسبحون ضد التيار، ويرفضون نقد مصادرهم (تيسير)، (غوينول)، ويعانون من الانغلاقات والرفض، وعدم التفهم، ونقص الاستعداد، والتأهيل، (أركون). ومن النادر أن تجد من جانب المسلمين متحدثاً يكون من الناحية الفكرية والثقافية معاصراً لأقرانه المسيحيين (كلافري). فلقد أثبتت التجربة أن التوجه إلى من يمثلون الإسلام رسمياً «الأزهر وغيره من المؤسسات الإسلامية» هو بمثابة التعرض لحوار الطُّم، فهؤلاء الأشخاص ينتمون إلى قرونٍ أخرى (قنواتي)، وهم يدورون في حواراتهم دائماً حول فكرة ثابتة مؤداها نفي ألوهية عيسى (بيروني). ويجدون من العادي تماماً أن يعترف المسيحيون لإخوانهم بحق الانتقال إلى الإسلام دون أن يقابلوا ذلك بالمثل بمنح الحرية لمن قد يرغب من المسلمين في التحول للمسيحية (غوينول). ولا يتنازلون عن تطبيق عقوبة الردة كما فعل المسيحيون (بورمانس). لأن التساوي بين أتباع الديانات لا يتمشى مع الإيمان الإسلامي (غوينول).

والمثقفون منهم لا تساندهم مجتمعاتهم، ولا يتبعهم رجال الدين، ولا يملكون حمل جماعاتهم على تغييرات فكرية ذات وزن (تيسير)، فضلاً عن ندرتهم أصلاً (كلافري).

وأخيراً، فالمسلمون تنقصهم مؤسسة توحيدية وتنسيقية كالكنيسة

ومجمع الأساقفة، فمن ثم يتفرقون (بوحديبة)، ولهذا يعد الحوار الإسلامي ـ الإسلامي، أصعب من الحوار الإسلامي المسيحي (بوحديبة).

٢ ـ **ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة**: هو الموضوع الأساسي الذي يسد سبل أي مشروعٍ للحوار بين المجتمعات الدينية (كاسترو).

٣ ـ **غياب الروح الناقدة شبه الكامل** (كلافري)، حيث تسود حالة من الخوف من التطرق بعمق للموضوعات التي تفرق بيننا، خوف أن يوجه أحدنا إهانةً للآخر (بيروني). وفي يومنا هذا فإن النقد الذاتي غير معترفٍ به حتى الآن في الإسلام كحاجة (غوينول).

٤ ـ **سلطة رجال الدين**: إن لم تكن أولى المشكلات، فإنها بالفعل إحدى القضايا الرئيسية أمام أي حوار مفيد بين الأديان (كاسترو)، فالحوار لا يمكن أن يقوم به رجال اللاهوت (بيراستيغي)، فقبل الجلوس للتناقش حول عقائد الأديان المنمطة والمفروضة من لدن لاهوتيين محدودين بثقافة زمانهم، ينبغي التفكر حول رجل الدين الذي نتخيله (أركون). فإذا كان الإسلام هو ما يطرحه ممثلوه الرسميون فليس يستأهل أن نشغل أنفسنا به، كما أن الكنيسة المؤسساتية تنزعج على الدوام بمجرد الحديث عن إلهٍ يحب ويحترم حرية البشر (ثيميل).

٥ ـ **لغة التعبير الديني**: التي تطورت في مناخٍ يسوده التريُّب والتعارض والخوف والرغبة في غزو الآخر، حتى جعلنا التاريخ جميعاً أصوليين (بيراستيغي)، فلن يكون هنالك حوار ما إن انطلقنا من فرضيات لاهوتية مسبقة (شيرغي) تؤدي إلى عدم اتفاق حول معاني الكلمات (غوينول).

٦ ـ **الجهل المتبادل من كل طرفٍ نحو الآخر** هو أكبر عائقٍ أمام الحوار (بوحديبة) بين رسالتين عالميتين تتجابهان، وتتنافسان، وتتجاهل كل منهما الأخرى (بورمانس).

٧ ـ **الانغلاق على نمطٍ إيماني معين**، كالمحجر البشري للأسرة

الدينية ـ الثقافية الإبراهيمية التي تندرج فيها المسيحية والإسلام (بانيكَّار)، حيث نضع ونفرض على الله الكلمة الأخيرة، وحدوداً ضيقة لمحبته للبشر، وتنزيل تاريخي واحد أوحد (عبُّود)، مما يؤدي إلى صعوبة قبول التعددية الدينية (غوينول).

٨ ـ **عدم وجود تفسير مشترك لحقوق الإنسان، والحريات الدينية**، في تغيير المرء دينه والقيام بالعمل التبشيري (بورمانس)، (غوينول).

٩ ـ **ثالوث الاستئثار**: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، كنتم خير أمة. (عبُّود).

١٠ ـ **الموقف من اليهودية** مشكلة تسمم الحوار. (بوحديبة).

ثانياً: الحلول:

١ ـ **إحداث فكرٍ ديني جديد**: عن طريق ثورة اجتماعية، كشرطٍ مسبق لأي حوار ديني (أركون).

٢ ـ **إيجاد لغة تواصلية** مع أشخاصٍ من ديانات ومعتقداتٍ أخرى (بيراستيغي).

٣ ـ **إخضاع الكتب المقدسة، الكتاب المقدس والقرآن لمتطلبات النقد التاريخي** (بورمانس). فنقص التساؤلات يمنع التقدم في الفهم (كلافري)، والمسلمات العقدية ينبغي أن يحل محلها موقفٌ ناقد (خوري)، مع الاحترام المتبادل (كلافري)، وتقبل الانتقادات بهدوء (بيروني).

٤ ـ **جعل الأشياء المطلقة نسبية** (خوري). فجميع الكتابات المقدسة والصياغات اللاهوتية جميعها يمكن أن يفهم من زاوية خاصة، فليس هنالك ولا يمكن أن يوجد رؤية وحيدة إنسانية عالمية، ويستلزم لعقد لقاء ديني حقيقي القبول بأن الكتب الدينية والمفاهيم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية إنما هي صحيحة ومفهومة في سياقٍ معين (بانيكَّار). فما من تنزيلٍ مكتوب يمكنه أن يحتوي كلمة الله (عبّود). والحقيقة الإلهية لم يمتلكها أحدٌ بكاملها. (كلافري).

٥ ـ **قبول التعددية الدينية** (غوينول)، فالإبراهيمية ليست هي العرق، ولا الثقافة الوحيدة، ولا أيضاً الطبقة الدينية الوحيدة في محجر الإنسانية، فلا بد من إيضاح إن كانت المسيحية ـ مثلاً ـ تريد أن تظل ديانة توحيدية ذات صبغة إبراهيمية، أم أنها مستعدة للانفتاح بدون أي ثقة أخرى سوى الإيمان بالمسيح (بانيكّار)، والرجال القائمون على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين فعليهم الالتزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر بحقه في القيام برسالته الرسولية، بل وأيضاً القيام بعمل تبشيري. (بورمانس). وقبول كل طرف بحرية تغيير الدين (غوينول) دونما عقوبة للردة (بورمانس).

٦ ـ **التخلي عن السلطة، والمساواة والتسامح**: فحينما تتنازل إحدى المجتمعات الدينية رسمياً وبصراحة عن استثناء الآخرين وقدحهم، وتنسلخ من السلطة تحدث هزة اجتماعية في مواقف كل مجتمع، وينصبغ بالتسامح (كاسترو). وليس المراد التسامح الذي يفترض علاقة تفّوق وتدنّي، بل حوار مساواة (خوري)، يقضي على ثالوث الاستئثار، ونرجسية الأديان (عبّود)، ومن ثم استبعاد أي مفهوم ديني تقوم عليه الدولة، لئلا يستحيل سياسياً واجتماعياً إلى حكمٍ قهري. (قنواتي).

٧ ـ **البحث عن «الحقيقة الإلهية»** والتعجل في عقد حوار في «الحقيقة» (كلافري)، أو «السِّر» Mistery (خوري)، إذ يوجد خطر قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، متناسين البحث عن الله في العالم المعاصر (بورمانس). فالتأكيد الذي يقول إنه في نهاية المطاف يوجد إلهٌ واحدٍ متساو بالنسبة للجميع، ومن ثمَّ فالمسلمون والمسيحيون هم في مكانهم الصحيح إنما هو تأكيد لا يتجاوب والحقيقة. إن هذا مكان مشاع وسطحي (بيروني). وثالوث الاستئثار: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة، يرتكز بين عناصر لها ـ حسب زعمها ـ نفس إلهٍ واحد. (عبّود).

فلا بد من التساؤل حول الدين وأساسه، إذ هو الوسيلة لفك جمود الحوار بين الأديان، وإعطائه مضموناً (خوري). والإيمان الحي يتخطى حدود كل إيمانٍ أرثذوكسي، فيهرب من عبء التاريخ، ومن ذكرياته التاريخية المكتوبة (بانيكار). فقط نحتاج لشيءٍ ضروري أن نعيش الإيمان، بمعنى أن يترك الإنسان نفسه يعمل حسب المعنى الذي يسكن بداخله، وفقط الإيمان هو الذي يقود إلى الله. (خوري).

وقد جمع «غاليندو» هذه المعاني الرامية إلى الخروج بصيغة عالمية لتوحيد الأديان، عن طرق إزالة الحدود، وطمس الخصوصيات، والبحث عن «الحقيقة الإلهية» فيما وراء لغة العقائد «اللاهوت» المعهودة، للوصول إلى «السر» أو «الجذر» كما يسميه، فيقول في مقدمته لأعمال هذا المؤتمر الأول:

(يتعلق الأمر بمطلب ثلاثي، ولا يمكن الاستعاضة عنه:

الانفتاح على ما هو عالمي،

الانطلاق من «النواة» الدينية والتركيز عليها.

الاعتراف بالتعددية.

وضرورة وجود فكرٍ ديني مصحوب بإعداد عتادٍ لغوي جديد، يجعلنا قادرين على إجراء حوار بدون حرمان ولا استثناءات. إن خطورة كل حوار بين الأديان ـ مثلما حدث مع الحوار الإسلامي المسيحي، هو أن لا يتحول إلى حوار ديني داخلي. وعلى الدوام يجري الحوار انطلاقاً من الأديان باعتبارها شيئاً مطلقاً، وليس انطلاقاً من البؤرة الدينية الأولى، التي تجعل الديانات شيئاً نسبياً. فحوار ديني يرمي أن يكون مناسباً يتخطى الحدود الضيقة للإسلام والمسيحية... وهذا شيء، في يومنا هذا لا تقبله بطبيعة الحال أي من المؤسستين الدينيتين، لأن ذلك يتطلب بالتبعية عدم المناداة بداءة الأمر بثقافةٍ أو بدينٍ معين... وهذا يستلزم فحسب تعددية ثقافية ولاهوتية.. ويستلزم

هذا بالضرورة أن ينتقل كل دينٍ من مظهره المؤسساتي إلى طابعه السري الأكثر عمقاً، للاتصال بهذا الجذر العالمي، مع هذه البؤرة الديناميكية... إنه بقدر قليل من وضوح الرؤية يمكن أن نفهم أن هذا هو الطريق الوحيد البشري الذي يوجد أمامنا كي نتقرب أكثر فأكثر بمرور الوقت من «المطلق»، وهذا هو أصل وسبب أي حوار حقيقي، وبدون هذا الطرح العالمي والجذري... فإن المشكلات ذات العمق التي يشار إليها هنا سوف تظل عقبات لا يمكن تخطيها، وستحبط أي محاولةٍ للحوار.

وليس ما نقدمه شيئاً بالسهل التحقيق، ببساطة، لأن بالنسبة للأديان ورجالها يصعب عليهم التحاور حقيقةً، وبصدق، وبدون نوايا خلفية. إن التحاور بصدق هو أن نجعل المطلقات الزائفة ذات طابع نسبي، وأن نكسر الأصنام الضخمة العقائدية والمذهبية، وأن نجعل من أنفسنا فقراء مجردين من كل احتكارات لـ «حقيقة الله». أن نظل ليلاً ونهاراً بأسماعنا وقلوبنا منتبهين للكلمة التي لا يتوقف الله عن نطقها في كل لحظة، في كل طريقٍ يمشي فيه الإنسان، أن يكون لنا روحٌ طالب، كي يعلمنا الروح الذي يتكلم حيثما شاء وأينما أراد، وبألف طريقة، أن نسير في الحياة أحراراً من الأديان، وأسرى لله، بدون كساءٍ ولا ضماناتٍ بشرية في عراء «السر»... والأمر يتعلق بكليته، وحسب بهذا الأمر: الذهاب صوب السِّر وأن ننخنق فيه، وأن نرى أنفسنا فيه وأن نستحيل فيه...)[1].

وقد ذيل هذه المقدمة بالتوقيع التالي:

كريسلام
الأب إيميليو غاليندو آغيلار
قرطبة، ٢ فبراير ١٩٨٨م، من محراب المسجد ـ الكاتدرائية

(١) العقيدة للأمام (١٢، ١٣، ١٤).

وفي مداخلته ضمن بحوث المؤتمر أبرز النقاط التالية:

■ (الأديان ليست سوى طرق عن طريقها فتح «السر» طريقه في ضمير البشرية.

■ وسوسة الأديان، ورجالها الأكثر دهاءً هي أن تجعل الله غير متناسق.

■ التناسق فقط هو الشيء الذي يتيح لنا أن نكتشف عبادة الأصنام التي تغزونا دون أن ندرك ذلك، وأن نقضي على أصنامنا بواسطة جعل كثير من الأشياء المطلقة، العقدية والقانونية والمؤسسية أمراً نسبياً، وهذا حقيقة الأمر، يمثل المشكلات الجذرية التي تعوق حواراً حقيقياً بين الأديان.

■ إن كل حوار ديني لا ينطلق من تجربة الإله، إنما يكون كلمة مشركة، أقوالٌ في أقوالٍ دبلوماسية، مخططات، استعراض ديني ذو مغزىً مزدوج، ولكن ليس هذا بالحوار بين المؤمنين.

■ إن معيار الحقيقة الإلهية لدين ما، يكمن في الاحترام المقدس عنده لحرية الأشخاص)[1].

إننا أمام محاولة باطنية ترسل خيوطها العنكبوتية في أرجاء متفرقة من فضاء العالَمين الإسلامي والنصراني، ويقبع في كل ركنٍ من أركانها زنديقٌ من زنادقة «كريسلام» ينسج خيوطه الخاصة، ثم تجتمع تلك الخيوط في «البؤرة» حيث العنكبوت الأكبر «غاليندو»، الذي اجتمع فيه ما تفرق في غيره.

قد لا يكون بعض من ساهم في مؤتمره هذا، وعامتهم من دولٍ كاثوليكية عريقة، إيطاليا، وإسبانيا وفرنسا، وممن أفنوا أعمارهم في

(١) العقيدة للأمام (١٧٥).

العمل التنصيري مع الآباء البيض في أفريقيا، وممن يتبوأون مناصب كنسية رفيعة، يسلمون بجميع أفكار «غالينـدو»، ولكنهم يلتقون معه قطعاً فيما يتصل بالإسلام، سيما وكثيرٌ منهم من أرباب الحوار ـ الإسلامي النصراني، ورواده الأوائل، وممن خبروا المسلمين عن كثب في بلدانهم، وعرفوا عمق انتمائهم لدينهم، وشعورهم بالعلو والفوقية العقدية، رغم التخلف المادي الذي يحيق بمجتمعاتهم في هذه الحقبة من التاريخ.

إن «غالينـدو» يحاول شيئاً! ولكنه في الخطوة الأولى يسعى إلى إقرار بعض النظرات العامة في تقويم تجربة الحوار الإسلامي ـ النصراني، وهي نظرات على خطورتها؛ كالنسبية العقدية، والاعتراف بالتعددية، وتحطيم المؤسسات الدينية والقائمين عليها، والدعوة إلى فكرٍ ديني جديد تحمله لغةٌ جديدة غير مثقلة بدلالات الماضي والعهد الذهني... الخ إنما تمهد الطريق لفكرة مبيتة يتدسس غالينـدو عبر خيوطه وشبكته العنكبوتية للإيقاع بفرائسه وامتصاص دمائهم. وهو في هذه الإرهاصات يومض بإشاراتٍ وتعبيرات مريبة كما يفعل إخوان الصفا، وزنادقة الصوفية الباطنية، ومن الجدير بالذكر أنه يعمد إلى إبراز بعض الكلمات بالخط الأسود العريض، كلما تكرر ذكرها مثل: (السِّر)، (البؤرة)، (الجذر)، (النواة) (الكلمة)، (الروح).

وسنحاول إماطة اللثام عن مقاصده، قبل أن «ينخنق» غالينـدو في مضيه صوب السِّر.

ب ـ المؤتمر الدولي الثاني بالمراسلة ـ تنظيم كريسلام: إلى الجذر

«البحث عن لغةٍ مشتركة من أجل حوارٍ مشترك بين الأديان» عام ١٩٩٤م.

بعد الجولة الأولى بست سنين (١٩٨٨ ـ ١٩٩٤م)، جاء هذا المؤتمر الثاني ليحقق نقلةً جديدة، كما يقول غالينـدو: (أن نترك القشرة، قشرة الكلمات والخطب، لندخل في اللب، ونذهب إلى

الجذر... وكان ذلك بالتحديد هو المهمة التي فرضها هذا المؤتمر الثاني، وكل منا سيحاول أن يرد على السؤال التالي: ما هو الأصل العميق، «الجذر» الضارب في الأرض الذي يمسك ويغذي ويفسر ويستلزم القضايا العميقة التي أشير إليها في المؤتمر الأول؟)[١].

وبعد توطئة مسهبة حول عالمية الديانات ولغاتها، ونسبية حقائقها، واضطرارها إلى قبول التعددية الثقافية في عالمنا المعاصر، طرح غالييندو سيلاً من التساؤلات في سبيل (إيجاد بعض الخطوط ولغةٍ مشتركة تتيح لنا حواراً حقيقياً بين الأديان..

أولاً: هل يمكن للمرء أن يكون مسيحياً دون أن يكون من الناحية الدينية من أصلٍ سامي، ولا من الناحية الثقافية إغريقياً؟ وهل يمكن أن يكون المرء مسلماً دون أن يكون من الناحية الروحية ساميَّ الأصل، أو من الناحية الثقافية عربياً أو إغريقياً[٢]؟

ثانياً: إن لم يكن من الممكن... فإنه تنطرح أمامنا هذه الأسئلة التالية التي لا مفر منها:

١ ـ هل يمكن لهاتين الديانتين ذواتي التطلعات العالمية أن تتنازلا عن هذه الصفة، وهذه الرغبة في العالمية، بحيث تنحصرا في أن تكونا ديانتين ذواتي طابع غربي بملامح شرقية...؟

٢ ـ إن لم تتنازلا... فكيف يمكن أن تبررا أو تعبرا عن نفسيهما أمام الثقافات وصور الفكر الأخرى؟ أو يكون ذلك عن طريق المثاقفة، أو تثقيف الطرف الآخر وصبغه بالصبغة الثقافية الذاتية، أو يكون ذلك عن طريق الاستعمار الثقافي الاستيطاني، أو يكون ذلك عن طريق تدمير

---

(١) إلى الجذر (٧).

(٢) يبدو أن غالييندو ينظر إلى الحضارة الإسلامية من خلال فكر المعتزلة والمتكلمين المتأثرين بالفلسفة والمنطق.

الثقافات الأخرى؟ وإن لم نشأ أن ندمر الثقافات الأخرى، فما هي البؤرة الدينية الإسلامية أو المسيحية التي يمكن نقلها واستيعابها من جانب أتباع الثقافات الأخرى، مع المحافظة في الوقت ذاته على هوية تلك الثقافات الأخرى، وعلى هوية الرسالة التي ننقلها إليهم؟

ثالثاً: إن كان بعكس ذلك... تنطرح أمامنا أسئلة أخرى لا مفر منها:

١ ـ ماذا سيحدث مع العهد القديم أو الكتاب المقدس، ومع القرآن، وهما من الناحية الروحية من أصل ساميّ، وهما من الناحية الثقافية من أصلٍ إغريقي؟ أوَ سَيبقيان، أو سيصيران إلى أن يكونا مجرد لغات تنزيل؟ أو كيف يمكن أن يُعتبرا أساساً كتنزيل؟

٢ ـ ومن جديد، ما هو بؤرة ما هو إسلامي وما هو مسيحي، التي تكون قادرة على أن يكون لها هوية خاصة مستقلة بها بالاستغناء عن الناحية الروحية ذات الأصل الساميّ، والناحية الثقافية الإغريقية والعربية؟ وما هو وكيف سيكون فحوى ما أعطي لنا حقيقة، وما هو الشيء المبني فيما بعد على ما أعطي لنا في الإسلام وفي المسيحية؟ على أساس أن نفهم من كلمة ما أعطي لنا ما هو أصلي، وما هو لا غنى عنه، وما هو صالح بصفة دائمة، وعلى أن نفهم من كلمة ما هو مبني، بقية الأشياء.

رابعاً: في إطار إجابتكم، ما هو معنى ومغزى وفائدة هذه المشكلة وحلها لحوار حقيقي بين الأديان بصفة العموم، وبين الإسلام والمسيحية على وجه الخصوص؟)[1].

إن غالينو يحاول من خلال أسئلته غير العفوية أن يستنطق كُتَّابه الذين يختارهم بعناية ليفصحوا عما يريد قوله هو، ويظهر الجواب كما

(١) إلى الجذر (٧ ـ ٩).

لو كان إرادة تعتمل في صدور الكثيرين من أبناء الديانتين. فجليٌّ من مسرد هذه التساؤلات المتلاحقة أن غالييندو يسعى إلى سلخ الديانتين من ملَّة إبراهيم، وإن كانت النصرانية لم يبق لها من الانتساب إلى إبراهيم سوى مجرد الدعوى[١]، تمهيداً «لتدويلهما» بإسقاط لغة التنزيل الخاصة، والاقتصار على «البؤرة الدينية» المعطاة، عَرِيَّة عن كل ما بني عليها بعد ذلك، بزعمه. ولكنه لم يفصح بعد عن تلك «البؤرة» التي يمكن نقلها واستيعابها عالمياً، بحيث تكون بديلاً عن التطلعات العالمية الخاصة لديانة معينة، وذلك ما نحاول تبيّنه ها هنا، فقد عرض في كتابه المتضمن لأعمال هذا المؤتمر الثاني بالمراسلة، ثنتي عشرة مقالة لتسعة من النصارى ـ اثنان مشترِكان في مقالةٍ واحدة، والبقية لبعض المنتسبين أو المنسوبين إلى الإسلام. وسوف نعرض أبرز أفكار تلك المقالات، مع التعليق على ما تدعو إليه الحاجة.

١ ـ أ. تورنس كوبيلُّو[٢] A. Tornos Cubillo:

• (تقول لي خبرتي وتجربتي: إنه بالفعل يمكن أن يكون المرء مسيحياً، ومسيحياً جيداً جداً، دون أن يكون من الناحية الروحية من أصلٍ سامي، ومن الناحية الثقافية من أصلٍ إغريقي.

• إن كسر طوق اللغات انفتاح على مجالاتٍ أخرى لم يكن يشار إليها البتة.

---

(١) راجع «النصرانية» في مبحث أهل الكتاب من التمهيد.

(٢) ولد في مدريد عام ١٩٢٧م. حصل على الدكتوراه في اللاهوت من النمسا عام ١٩٥٩م، دكتوراه في الفلسفة من «ميونيخ» عام ١٩٦٠م، دبلوم في علم النفس السريري «الإكلينكي» في مدريد عام ١٩٦٤م. ومنذ عام ١٩٧٣م يدرس اللاهوت بجامعة كوميسي. عضو بمعهد الإيمان ورجال الدين غير المرسمين. كان أستاذاً زائراً في الأرجنتين وبيرو وتشيلي وزائير. من مؤلفاته: المجتمع واللاهوت. ط عام ١٩٧١م، وقت البحث. ط عام ١٩٧٧م، خدمة الإيمان في ثقافة اليوم ط عام ١٩٨٨م، موقف المتدينين والتبشير بالثقافة ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٣).

• طبقاً لما يقوله أحد رجال الدين الكاثوليك الصينيين: سيأتي اليوم الذي تكون فيه كتابات «كونفوشيوس»... معترفاً بها مثل «العهد القديم».

• علينا أن نأخذ مأخذ الجد الفكرة القائلة بأن الديانات يمكن أن تتغير. فالمسيحية على سبيل المثال ينبغي أن تتغير. وقد تغيرت حينما انصبغت بالصبغة الرومانية «وليس فقط بالصبغة الهيلينية، أي الإغريقية»، وحينما انضمت إليها الشعوب الجرمانية، وحينما أيضاً حاولت وسعت إلى استيعاب عصر التنوير والأفكار المثالية والاشتراكية)[1].

ومما جاء في مقالته المعنونة بـ «الدخول في الحدود» ما يلي:

(لماذا نحن المسيحيين ـ بصفتنا الشعب المختار ـ لا تتعلم الكنيسة من الشعوب الأخرى، والثقافات الأخرى؟ الآن وفقط الآن وصلنا إلى أن نفهم أنه كان ينبغي علينا أن نذهب إلى شعوبٍ أخرى، ونسألها: ماذا كان قد قال الله لكم في القدم، وماذا تستشفون من وراء ذلك؟ وماذا تعرفون عن الإله وعن الحياة؟ كان هذا ما ينبغي علينا أن نفعله بدلاً من هدم المعابد، وحرق الكتب، كتب الوثنيين في روما وفي قرطاج، في أثينا وفي الإسكندرية، وحيثما كان...

إن عملية التبشير بالمسيحية، ودخول هذه الأقوام في الدين المسيحي، لم يكن بصورة حقيقية على أساسٍ ديني حقيقي.. كانت مزيفة، ويشوبها كثير من الممارسات والعقائد التي هي عبارة عن شعوذة. وبالتالي يمكن القول إنهم صاروا مسيحيين، ولكن ليسوا حقيقيين.

أعتقد أنه بالنسبة للمسيحيين، أن ما أعطي أساساً هو عيسى، الإنجيل الحي، والذي تشير إليه بصورة تقريبية، وليس بصورةٍ كاملة،

(١) إلى الجذر (١٣).

كل الأقاصيص والحكايات الأساسية الموجودة في الكتابات المقدسة)[١]. الكاتب حين يعترف بأخطاء الماضي في أسلوب التنصير، يريد أن يعيد النصارى الكرَّة بانفتاح أكثر، دون التفريط بعقيدتهم في المسيح، واعتمادها أساساً للحوار.

٢ ـ أنسلمو تيتيان سانون[٢] A.T. Sanon:

• (إن كنا نريد القرن القادم قرناً إنسانياً، بمعنى: قرناً تسوده الإنسانية والتعددية في آنٍ واحد، قرناً جديراً بالإنسان وتطلعاته، فسيكون قرن اللقاء الثقافي والديني.

• لا يمكن لأحدٍ أن ينسب لنفسه شخص المسيح. ورسالته وتقليده الروحي قد انتقل عبر كثير من الكيفيات والوسائط الثقافية والروحية)[٣].

٣ ـ روجيه جارودي Roger Garaudy:

سبق عرض مشروعه الفكري والعملي للتقريب بين الأديان[٤]، ونظراً لأهمية النصوص الواردة في مقالته نثبتها هنا:

---

(١) إلى الجذر (١٥ ـ ٢٥)

(٢) ولد عام ١٩٣٧م في مدينة «سيا» ـ بوركينا فاسو ـ، وعُمِّد كاثوليكياً عام ١٩٤٨م، ورسم كاهناً عام ١٩٦٢م، ودرس المرحلة الجامعية في روما من ١٩٦٣م حتى ١٩٦٧م، ودرس اللاهوت، وفي باريس أكمل دراسته العليا فحصل على الدكتوراه من المعهد الكاثوليكي في باريس عام ١٩٧٠م. أستاذ للاهوت ورئيس قسم الدراسات في مدينة «كومي». عُين أسقفاً في بلدة «بوبوديولاسو» عام ١٩٧٥م. رئيس المؤتمر الأسقفي في بوركينا والنيجر من عام ١٩٨٢م ـ حتى عام ١٩٨٦م. عضو في المجلس البابوي للحوار بين الأديان عام ١٩٣٣م. من مؤلفاته: الكنيسة أمي. التحول من جماعة الفيني إلى المسيح ط عام ١٩٧٧م، جذور الإنجيل والتقليد الإفريقي، والتربية العقدية ط عام ١٩٨٢م. إلى الجذر (٣١).

(٣) إلى الجذر (٣١).

(٤) انظر المبحث الأول من هذا الفصل.

• (تعبير «تطبيق الشريعة»، وعملية «التبشير بالإنجيل» الجديدة والتلقين المسيحي كما في المفهوم الفاتيكاني، التي صدرت عام ١٩٩٢م... هما حالياً أكبر عقبتين أمام الحوار.

• لا ينبغي أن نطلب من مسيحي أن يكون بوذياً، ولا من مسلم أن يعود إلى المسيحية. بل بالأحرى أن نساعد البوذي بأن يكون بوذياً بصورة أفضل، وأن يكون هناك مسيحي بصورة أفضل، وأن يكون هناك مسلم بصورة أفضل.

• ينبغي أن ننشر الإنجيل بين بعضنا بعضاً، ونصبغ أنفسنا بالصبغة الإنجيلية، لأن الأمر لا يتعلق بتصديقٍ من طرفٍ واحد، لعقيدة معينة، بل للقاء مع الشيء الإلهي الذي هو أثرى وأغنى، لأننا نشترك فيه، وتقع فيه عملية التخصيب المتبادلة للثقافات من جميع القارات، وتجارب الجميع في العصر الإلهي)[1]. وهذا الكلام الأخير يفسر ماذا يريد جارودي بأن يكون البوذي أو النصراني أو المسلم باقٍ على دينه ولكن بصورة أفضل.

٤ ـ ميغيل كروث إيرناندث[2] M. Gruz Hernanadez:

• (كل الأديان ولدت داخل حدودٍ معينة؛ جغرافية وتاريخية

---

(١) إلى الجذر (٤٣).

(٢) ولد في «مَلَقا» ـ جنوب إسبانيا ـ عام ١٩٢٠م، حصل على الدكتوراه في الفلسفة والآداب عام ١٩٤١م. أستاذٌ في جامعة غرناطة، وأستاذ كرسي في جامعتي سلمنكا، ومدريد المستقلة من مؤلفاته العديدة: الميتافيزيقية» «ما وراء الطبيعة» عند ابن سينا ط عام ١٩٤٩م، الفلسفة الإسبانية الإسلامية ط عام ١٩٥٧م، فكر رامون لول ط عام ١٩٧٧م، تاريخ الفكر في العالم الإسلامي ط ١٩٨١م، ابن رشد: حياته وأعماله ومؤلفاته وتأثيراته ط عام ١٩٨٦م، الإسلام في الأندلس: تاريخه وبنيته وحقيقته الاجتماعية ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (٦١).

واجتماعية، «ثقافية وعرقية ولغوية». وبالنسبة للمتدين هذه البيئة ليست نتيجة أو ثمرة ثقافية، بل إنها طريقٌ للمنشأ الإلهي، بواسطتها يمكن أن نحقق الاتحاد في الإله.

• فيما يعتقد المسلمون بأن هناك تناغماً تاماً، وملائمة تامة حتى في التعبير اللغوي بين القرآن والكلمة الإلهية(١)، فنحن المسيحيين نعتبر أن هذه الملائمة تقتصر على الأجزاء الرئيسية، وأن التعبير اللغوي هو شيءٌ عرضي، ويرجع إلى الظروف التاريخية والثقافية، وإلى شخصية محرري وجامعي الكتابات المقدسة، والعرف الثقافي.

• ينبغي أن يتوفر جو من الحرية الكاملة كي يفهم بعضنا بعضاً، وفي عملية استخدام اللغات الملائمة، ومن أجل المساواة بين المشاركين من العلماء... فلا يمكن أن يكون هناك لقاءٌ يكون فيه على سبيل المثال من جانب المسلمين علماء وفقهاء فقط، من مراكز محددة معينة، ومن جانب المسيحيين قساوسة مرسمون ومعينون، فقط.

• إذا كان الرب سيستغني عما يفصل بيننا حينما يوحد بيننا في الحياة الأبدية(٢)، إذاً أفلا يمكن لنا أن نتنازل شيئاً فشيئاً عن بعض الاختلافات غير الجوهرية التي تفصلنا؟)(٣).

---

(١) بل إن القرآن هو كلام الله حقيقة، وليس تعبيراً عن الكلمة الإلهية كما وصف إيرناندث. فقد تكلم الله به ابتداءً، ونزل به الروح الأمين «جبريل عليه السلام» على قلب محمدٍ ﷺ بلسانٍ عربي مبين. أما الأناجيل التي بأيدي النصارى منذ قرون فهي روايات لسيرة المسيح عليه السلام وأقواله، اعتراها التحريف والتناقض، وتعددت نسخها، وهي تعبير بشري كما قال إرناندث يخضع لشخصية محرريها. راجع النصرانية في التمهيد.

(٢) قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم]. وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

(٣) إلى الجذر (٦١).

ويعترف هذا الكاتب المشتغل بالدراسات الإسلامية ـ كما يتضح من ترجمته ـ بأن: (النص القرآني هو الأكثر أمناً وضماناً... من بين الكتب الثلاثة المقدسة)[١]، وأن القرآن تنزيل إلهي، كما التوراة والإنجيل[٢]، ولكنه يرى أن تلك النصوص المقدسة بصفتها تلك: (مناسبة للحظة اجتماعية محددة، لكن المضمون الأساسي على الرغم من اختلاف وسائل النقل، صالحٌ لكل مؤمنٍ في يومنا هذا، مثلما حدث بالأمس، ومثلما سيحدث إلى الأبد... ومهما يكن من أمر فإن المؤمنين المستنيرين، والجماعات المؤمنة يتعين عليها أن تشرح للجميع كل العناصر التي لا يمكن فهمها مباشرة من وجهة نظر الصيغ الاجتماعية والثقافية الحالية)[٣]. وهو يعترف أن (المبادىء الجوهرية للدين المسيحي قد تمت هيكلتها ووضع بنيتها في العالم الإغريقي. وفكرها اللاهوتي، حتى بالنسبة لموضوع أسس العقيدة التي صيغت صياغة لاهوتية «نيقيا، القسطنطينية»، فإنها تبعت الأصول والخطوط العريضة القادمة من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، وفيما يتعلق بالديانة الإسلامية فإن فكرها اللاهوتي المتكون، أيضاً، التزم بتلك الخطوط العريضة للفلسفة الأفلاطونية الجديدة)[٤]. وكسائر الغربيين فإنه يعتقد بداهة أن ثم عوامل أخرى صاغت العقيدة والشريعة الإسلامية تارة باسم السنة النبوية، وتارة من مصادر ثقافية خارجية، وذلك لمواكبة التوسعات السريعة في حركة الفتح الإسلامي)[٥].

ويختم مقالته بالدعوة إلى: (أن نقترب من بعضنا بعضاً، وأن

(١) المرجع السابق (٦٥).
(٢) المرجع السابق (٧٨).
(٣) المرجع السابق (٧٩).
(٤) المرجع السابق (٧٤).
(٥) المرجع السابق (٧٣).

نقترب بصورة أحسن من الإله حتى نخدمه ونحبه بصورة أفضل، وأن يعرف بعضنا بعضاً بصورة أحسن، وأن نكسر جميع القوالب والأشياء المعهودة، وأن نغفل، ولا نذكر التقاليد والعرف غير الجوهري والأساسي، وأن نتلاقى في مبدأ حول العقيدة المشتركة التي هي الإله الواحد)[١].

٥ ـ رايموندو بانيكار[٢] Raimundo Panikkar:

• (لا شعوب أفريقيا، ولا حتى ـ بصفة خاصة ـ الشعوب الآسيوية تتحدث أي تفهم وتتأثر، وتعبر عن نفسها بلغة مسيحية، بل تعيش في عوالم أخرى. إن قضيتنا تتمثل في أن نسأل: إن كان العرق الإبراهيمي يقدم اللغة الوحيدة الممكنة للمسيحية كما يحدث حتى الآن.

• لا يمكن في عالم اليوم، أن يكون هناك لاهوت مسيحي مقنع. وبالمثل لا يمكن أن يوجد أي تفكير فلسفي بشأن أي دين من الأديان، إن لم يأخذ في الحسبان التعدد الواسع لمختلف التقاليد الدينية التي توجد عند البشر.

• إن المعضلة ينبغي أن نجابهها بكل حدتها ومقاطعها: فإما أن يحدث عملية ختان للعقل وفق تصنيفات الكتاب المقدس، أو أن نطلق الحدث اليسوعي على شكل صورة عقلية، وبالتالي لصيغة مذهبية محددة)[٣].

إن هذا الكاتب المولود لأبٍ هندي وأمٍ كاثوليكية، يعيش عقدة «الإبراهيمية» التي تدعيها الكاثوليكية، بلغتها اللاهوتية، وترفضها الشعوب الأخرى في الهند وغيرها لكونها غير مقنعة. ومن ثم ينادي

(١) المرجع السابق (٨٠).
(٢) سبقت ترجمته في المؤتمر الأول رقم (٣).
(٣) إلى الجذر (٨١).

دوماً ـ كما مر في أعمال المؤتمر الأول ـ بالانفلات من المحجر الإبراهيمي، وإبقاء الإيمان بالمسيح فقط، وبوعد الروح فقط[١]، وإطلاق الحدث اليسوعي، وإلا حدث «ختان للعقل» على حد تعبيره الذي أراد أن يلمز بها السنة الإبراهيمية الفطرية «الختان». وغاب عن هذا الكاتب أن «ملة إبراهيم» على حقيقتها، لما حملتها رسالة محمد ﷺ قبلتها شعوب أفريقيا، والشعوب الآسيوية بصفة خاصة، حيث مركز ثقل العالم الإسلامي من حيث التعداد، وتحدثت بها وفهمتها وتأثرت بها وعبرت عن نفسها بلغة إسلامية مقنعة دونما أي عائق. أما اللاهوت النصراني فهو إغريقي ليس من ملة إبراهيم في شيء.

وغالينـدو يتجاوب مع أفكار هذا الكاتب الذي يتحدث من موقع نصراني، ويحاول أن يعمم فكرته على جميع الأديان ـ والإسلام خاصة ـ للتحلل من ملة إبراهيم للاندماج بمختلف تقاليده الوثنية. ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة].

٦ ـ شريف عبد الرحمن جاه[٢]:

● (كي يكون المرء مسيحياً أو مسلماً ليس من الضروري أن يكون من الناحية الروحية ساميًّا، ولا من الناحية الثقافية إغريقياً أو عربياً.

---

(١) انظر مقالته السابقة (٨٣٢).

(٢) ولد في الجديدة ـ المغرب ـ عام ١٩٣٤م، وحصل على الدكتوراه في القانون، وتخصص في العلوم الإسلامية والإنسانيات. رئيس مؤسسة الثقافة الإسلامية والمعهد الغربي للثقافة الإسلامية. وهو مدير مجموعة العمل والبحث المتعلق بتأثير الثقافة الإسلامية في الثقافة الأوروبية، الذي وافقت عليه الجمعية البرلمانية للمجلس الأوربي عام ١٩٩١م. كتب العديد من المنشورات حول الفكر وموضوعات تتعلق بالأندلس، وألقى العديد من المحاضرات في المؤتمرات والجامعات الأوربية والعربية. إلى الجذر (١٠٥).

• الرسالة لا يمكن أن تقتصر على النطاق الضيق لثقافةٍ واحدة، سواء كانت تلك إغريقية أو عربية أو فارسية، فإنها في هذه الحالة تفقد طابعها العالمي والإلهي، وتنحصر في تيار فلسفي محض، وتكون فكراً أو أيديولوجية من بين أيديولوجيات أخرى.

• الإسلام لديه رسالة عالمية تذهب إلى ما وراء الصفات والمميزات الثقافية. إن معنى أن يكون شيءٌ عالمياً هو أنه لا يمكن أن يخضع لنماذج ضيقة لثقافات ومميزات شرقية أو غربية.

• لا نحتاج إلى عملية مثاقفة، أن يثقف كلاً منا الآخر، ويعلمه، ولا أن نستعمر ونستوطن أراضي الغير، ولا أن ندمر ثقافته، لأن كل واحدةٍ من هذه الثقافات همزة وصلٍ في صفة العالمية التي يشتمل عليها الإسلام.

• إن اللاهوتيين ورجال الدين، قبل أي بشر آخر، هم الذين عليهم تقع مسؤولية نقل التوازن الذي يوجد في كلمة الإله...

• إن محاولة تطبيق المضمون الرسمي بصورة مماثلة في يومنا هذا، كما طبق في قرون خَلت، إنما هو تفسير غير ملائم، ويمكن أن يفسح المجال لمواقف متشددة، غير مرنة ويمكن أن تكون بعيدة عن الرسالة القرآنية الحقيقية)[1].

لقد غالى شريف جاه في إظهار الموافقة لـ «غالييندو» إلى حدٍ بدت فيه مقالته مجرد إجابات سطحية ومباشرة بنعم أو لا، تبعاً لما يرضي السائل، أو كما قيل: «كان يُلَقَّن فيتلقن». حتى بلغ به التدني إلى نزع خصائص الإسلام العقدية والثقافية والتشريعية والاجتماعية لإبقاء وصف «العالمية» التي يهيم بها غالييندو ورفاقه، ويردد في بلاهة

(١) إلى الجذر (١٠٥).

ما يطربهم حين يقول: (وبقدر ما يكون (ما أعطي)[١] هو متشابه بين الديانتين كلتيهما، المسيحية والإسلام، وإن تعمقتا في جذورهما يكون الحوار فيما بينهما ممكناً. لأنه سيكون حواراً أخوياً، ومن أجل التقارب، إن فهمنا بكلمة «حوار أنها تبادل الكلمة بين كائنين.. فإنه في حقيقة الأمر لا يكون هناك حوار، بل إنه يستحيل إلى كلامٍ من طرفٍ واحد إلى شخصين)[٢].

٧ ـ خيسوس آبلينو دي لاَبيندا[٣] J.A. De La Pienda:

• (إن التوحيد الذي يستثني أي شيءٍ غيره، والذي يسيطر على التقليد الإبراهيمي بحذافيره شيءٌ لا يقوم بذاته، ولا يمكن أن يستمر من وجهة النظر التحليلية. وهذا التوحيد الذي يستثني كل ما سواه هو جوهر «عقدة التفوق» التي تجرجرها أديان هذا التقليد. فينبغي على كل هذه الديانات الإبراهيمية أن تمتحن نفسها، وتمحص نفسها بنفسها ذاتياً من هذه الرذيلة التي ترتكبها ضد ديانات أخرى، وأن تتنازل عن احتكارها الذي تزعمه.

• إن البعثات التبشيرية قد قامت على أساس من عقيدة تفوق الثقافة والدين التي تنتمي إليه على الثقافات والديانات الأخرى. فكنا

(١) يشير إلى ما تقدم في أسئلة غالينـدو: ثالثاً: ٢. (٦٢).
(٢) إلى الجذر (١٠٨ ـ ١٠٩).
(٣) ولد في «اشتورياس» ـ شمال غرب إسبانيا ـ عام ١٩٣٩م. حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مدريد المركزية، وحصل على الإجازة في اللاهوت من الجامعة الغريغورية في روما. وهو حالياً أستاذ كرسي الفلسفة في جامعة «أفييدوا»، ومدير مجلة «ماخيستير». من مؤلفاته: «الأنثروبولوجيا اللاهوتية عند K.Rahner عام ١٩٨٢م»، «الشيء الخارق للعادة عند المسيحيين عام ١٩٨٥م»، «دين واحد، وديانات كثيرة عام ١٩٩١م». إلى الجذر (١١١).

نقول: الله الحقيقي، الدين الحقيقي، ونقول: الشعب المختار.. الخ وهذه العقائد لا تزال قائمة مستمرة في الديانتين المسيحية والإسلامية الأرثذوكسيتين، أي الملتزمة بالنص والتقليد. وينبغي علينا بصفة عاجلة أن نراجعها بعمق على ضوء التعددية الثقافية والدينية)[١].

إن هذا الكاتب الناقم على «التوحيد الإبراهيمي»، الذي ورثه بحق المسلمون، ويدعيه اليهود والنصارى، ورغبت عنه الوثنيات الأخرى التي ينافح عنها هذا الكاتب، يعد استبعادها وإدانتها رذيلة تجرجرها الأديان المنتسبة إلى إبراهيم. ومن ثم فقد تجاوز مرحلة التقارب الإسلامي ـ النصراني إلى مرحلة التقارب العالمي بمختلف صوره وأشكاله، إذ يقول: (إن المسلمين والمسيحيين لديهم تقليد فلسفي ولاهوتي ديني مشترك في غاية الأهمية، يحمل معه في طياته بُنىً مشتركة من الفكر الجوهري.. وعلى مستوى التقليد الصوفي يمكن أن يكون هناك لقاءٌ يشع بضوئه وعنوانه على الآخرين.

ولكن، وبالتحديد، في هذا التقليد المشترك توجد هناك عقبات كبيرة أمام الحوار، بينهما وبين الأديان الأخرى، فينبغي علينا إذاً أن نتفحص بصورة مشتركة هذه العقائد الكبرى التي توحد والتي تفصل بين الديانتين، وأن نفكر دائماً في دياناتٍ ثالثة... إن أسس الحوار ينبغي أن تخدم كل الديانات... وعلينا أن نرى أيضاً إن كانت تلك الأمور التي توحد بيننا لا تعوق الحوار مع ديانات أخرى.. وبهذه الكيفية يمكننا أن نذهب شيئاً فشيئاً في تحديد البؤرة)[٢].

وهذا ما ينشده «غالييندو»، ومِن ورائه «كريسلام».

---

(١) إلى الجذر (١١١).
(٢) إلى الجذر (١١٣).

٨ ـ ماريّا تسكانو[١] وخورمان أنكوتشيا[٢] M. Toscano & G. Ancochea :

• (الأديان ليست إلا صوراً تعبر عن الكيفية التي تلقاها البشر عن الله، وعن صورته التي كونها البشر عنه في مختلف الثقافات.

• إن التجربة الصحيحة التي اكتسبناها بشأن «السر» تصلح لكل البشر. فإن كل تجربة حقيقية للسر هي في آنٍ واحد عالمية وجزئية أيضاً.

• إن التحول من دينٍ إلى دين، إذا فهمناه كتحول القلب إلى الله الحي، يكون ممكناً في كل دين، وبالتالي فإننا نؤكد أن المؤمن لا يحتاج أن يخرج من دينه، ولا من ثقافته كي يلج هذه التجربة.

• الحوار يمكن أن يحدث فقط بين طرفين متساويين. إن الحوار بين الأديان سيكون حقيقياً فحسب على أساسٍ من التجربة، بحيث، وبدون أن نتنازل عن تجربتنا الشخصية الخاصة، يمكننا أن نعترف بتجربة الآخر، كصاحب تجربة صحيحة بالمثل، كتجربتنا. وكلما كانت التجربة أعمق، فإن الحوار أيضاً سيكون أكثر صمتاً، حتى يتحول إلى تأملٍ مشترك. الكل مع الواحد)[٣].

لقد بلغ هذان الزوجان مرتبة «ابن عربي» الذي صار قلبه قابلاً كل صورة. فلذا يريان الأديان جميعاً تجارب صحيحة، عالمية وجزئية في آنٍ واحد، ومن ثم فالتنقل دخولاً وخروجاً بينها إنما هو جولة في دينٍ

---

(١) ولدت في مدريد عام ١٩٤٧م، حصلت على الإجازة في الفلسفة. أستاذ كرسي في الدراسات الثانوية، وأستاذة ملحقة في جامعة كوميسي ـ أهلية كنسية ـ بكلية اللاهوت في مدريد. إلى الجذر (١٣١).

(٢) ولد في مدريد عام ١٩٤٤م. حصل على الإجازة في العلوم الاقتصادية. وألف عدة كتب في التحليل الاقتصادي. وهما زوجان. وقد اشتركا في تأليف كتابٍ بعنوان: «رمزية العدد» ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٣١).

(٣) إلى الجذر (١٣١).

واحد، والحوار هو تأمل الكل مع الواحد. وهكذا تتداخل عقيدة وحدة الوجود مع عقيدة وحدة الأديان.

٩ ـ سميح محمود دغيم[١]:

• (إن التنزيل في حد ذاته عمل إبداعيٌ إلٰهي، كان هدفه المحدد هم الأنبياء.

• الهدف الرئيسي من التنزيل الإسلامي، وهو القرآن، والتنزيل المسيحي، وهو ألوهية عيسى، ينبع من التقارب بين هذين الكيانين؛ أي القرآن وألوهية عيسى، وبين أصحاب محمد وتلاميذ عيسى.

• إن المشكلة الرئيسية ليست في النصوص الإسلامية والمسيحية المنزلة، بل في قراءة وتفسير تلك النصوص وغيرها من النصوص الدينية. وفي يومنا هذا لا توجد منهجية لقراءة النصوص القرآنية.

• إن العودة نحو الجذور، وعدم التأثر بالروح هو شيءٌ على ما يبدو لا يشغل بال الإنسان العقلاني اليوم)[٢].

لقد عالج هذا الكاتب موضوع المؤتمر معالجة خطيرة أكثر مما تشي به هذه النصوص التي اختارها «غالييندو» بين يدي مقالته المعنونة بـ «مشكلة تكمن في قراءة النصوص المنزَّلة». فبعد مقدمة مسهبة عن نشأة الإسلام وحضارته وفتوحاته ضمنها ما دأب المستشرقون على

(١) ولد في «الرهام» ـ لبنان ـ عام ١٩٤٨م. حصل على الإجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية عام ١٩٧٢م، والدكتوراه في الفلسفة من جامعة القديس يوسف عام ١٩٨٦م. أستاذ اللاهوت والتصوف الإسلامي في الجامعة اللبنانية من عام ١٩٨٢م حتى عام ١٩٨٦م. ومن ذلك العام وهو أستاذ في الجامعة نفسها للأفكار السياسية والاجتماعية وفلسفة العلوم. ومن مؤلفاته: موجز لأفكار الأقدمين، والمحدثين. ط عام ١٩٩٢م، تحقيق لكتاب الغزالي: المنقذ من الضلال. ط ١٩٩٢م، فلسفة القدر. إلى الجذر (١٣٩).

(٢) إلى الجذر (١٣٩).

ترداده من استمداد الإسلام من اليهودية والنصرانية وما سواهما، وشدد على أن التنزيل القرآني ينبغي أن يفهم في سياق الظروف التاريخية المصاحبة، وبالتالي فالموقف من أهل الكتاب ومن الجهاد المقدس أملته ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية معينة، لا ثوابت عقدية، ومن ثم فلا علاقة لذلك الفتح بتقبل الشعوب للإسلام وانتشاره، وكذلك الحال مع النصرانية، خلص إلى نتيجة مفادها:

(إن فرض الإسلام والمسيحية في العالم، وقبولها من جانب الشعوب التي كانت لا تعرفهما، يحملنا على البحث عن محور قد مكنهما من التعبير عن نفسيهما كرسالتين دينيتين أمام مجتمعاتٍ بشرية كانت لديها طبائعها الخاصة بها من الناحية الروحية والثقافية.

هذا المحور يمكننا أن نجده في «العلي القدير» الذي كشف عن نفسه أمام محمد بواسطة الكلمة. إن هذا «العلي القدير» قد استحال فيما بعد إلى ما يعرف بالنص القرآني، وهذا العلي الذي تجسد في المسيح، كلمة الله كما يؤكد المسلمون، وابن الله كما يقول المسيحيون. وعلينا أن نترك جانباً من هذا الجدل والنقاش، وعلينا أن نعترف أن الإيمان بالله العلي إنما يشمل كل البشر الذين يكتسبون معنًى حينما يرتبطون بفكرة الخلق. إن هذا الشيء ذاتي موجود في كل دينٍ منزل. فكرة كانت موجودة بين الشعوب التي كانت لا تعرف وجود الأديان المنزلة)[1].

إن «دغيماً» يحاول أن يدغم الحقائق، ويخلط الأوراق حين يصور العقيدة الإسلامية، «القرآن كلام الله»، ببساطتها ووضوحها تصويراً فلسفياً على غرار كفر النصارى بالقول بالحلول الإلهي في جسد المسيح. إن أياً من المسلمين لا يخطر بباله أن الله العلي القدير

(١) إلى الجذر (١٥٦).

ـ سبحانه وتعالى عما يقول الضالون ـ قد استحال نصاً قرآنياً كما لا يخطر بباله أن كون عيسى بن مريم عليه السلام كلمة الله، أن الله العلي القدير حَلَّ فيه، بل هو مخلوقٌ بكلمته «كن» فكان، كما آدم عليه السلام، فحسب.

ولكن دغيماً يحاول جر العقائد الإسلامية الصافية الواضحة إلى ظلمات الضلالات النصرانية لتحقيق «التقريب» المنشود، أي تقريب الإسلام إلى النصرانية المحرَّفة. فقد شرع في سرد العقائد النصرانية البائدة المتضمنة صلب المسيح لأجل الفداء، وتأليهه دون أدنى نقد أو تمحيص، ليصل إلى «الجوهر» أو «البؤرة الدينية» التي يبحث عنها «غالييندو» ويسعى إلى اعتمادها أساساً لوحدة الأديان. فيقول دغيم: (عن طريق التعميد[1]... الإنسان يشارك في الحياة الإلهية، لأنه بدوره يشارك في بشرية المسيح عيسى الذي بعث بعد موته، وإن روح القدس الذي ينقل إليهم هذه الهِمم من جانب الإله، وينقل إليهم بنوته الإلهية هي الجوهر الذي منه تنطلق وصوبه ينبغي أن توجه علاقتها مع الآخرين ـ ثم يتساءل ـ ماذا يعني كل هذا؟.

إن القرآن هذا هو الكلمة المنزلة، والتي مُيز بها محمد... وبالنسبة للمسيحيين فإن الكلمة المنزلة هي تجسده في عيسى ابن الله. إن التنزيل بمعنى أن جوهر الإله كان مخفياً في الطبيعة البشرية لعيسى. وهذه أكدت استمرارية الجانب الإلهي عند البشر «الكلمة المنزلة» لأنه عبر التعميد، فإن هذا يجعلهم يشاركون في الحياة الإلهية، بفضل الطبيعة البشرية لعيسى المسيح...

مما لا شك فيه أن النبي ليس لديه طبيعة مختلفة عن بقية البشر، لكن الله ميّزه بكيفية الاتصال به، بينما المسيح يتميز لأنه عاش فيه الروح القدس[2]...

---

(١) راجع مبحث «النصرانية» في التمهيد.

(٢) يريد الكاتب أن يبين مزية عيسى عليه السلام ـ في زعمه ـ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم=

إن فكرة الإله الأعلى تمثل الجوهر، وإن كانت تختلف في كيفية الإفصاح عنها الكتب المقدسة؛ القرآن والأناجيل... إن جعل التنزيل الإسلامي القرآن، والمسيحي: ألوهية عيسى، إنما ينشآن في القرب الذي كان لصحابة النبي ولتلاميذ عيسى من هذين الجانبين... من الضروري بمكان أن نتفاهم فيما بيننا بصورة متبادلة فيما يتعلق بالصياغة، صياغة ما عند كل واحدٍ منا، وأن نعرف في الوقت نفسه أن هذه الصياغة، وهذا التقنين النمطي المستمر، يمكن أن يقربنا من الحقيقة الأصلية. بمعنى أن المفاهيم الأصلية حول التنزيل ليست منفصلةً تمام الانفصال عن تطورها التاريخي... ولكن من أجل حوار إسلامي مسيحي فمن الضروري، ولا غِنى عنه، أن نخلع ونفكك هذه الآليات التي صاغت هذه التقنينات بوعي خاص وعميق للظروف التاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي جعلت منها شيئاً ممكناً)[1].

إنا نتفق مع سميح محمود دغيم على ضرورة إخضاع الصياغات والتقنينات النصرانية التالفة، مثل الصلب والفداء والتثليث والبنوة والتأليه والتعميد... الخ لمطارق النقد التاريخي والعقلي وتفكيكها، والرجوع إلى دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقبول بشارته: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، والاغتباط بالقرآن العظيم كلام الله، الذي جاء لينتشلهم من جدلهم وضلالهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل]، بدلاً من محاولة جر المسلمين لمعمعة ضلالهم حول «الكلمة» بدعوى تقارب الأديان، وهم

= فمحمد ﷺ بشر أوحي إليه ـ وهذا حق ـ وعيسى حل فيه عنصر إلهي، تعالى الله عما يقولون.

(١) إلى الجذر (١٥٨ ـ ١٦٣).

إنما ضلوا فيها وتفرقوا بسببها على مدار القرون الخالية. فأنى لغالييندو ودغيم وأمثالهما من الكريسلاميين أن يوحدوا البشر على أساسها المهترىء؟

١٠ ـ أندروس توريس كِروُّجا[١] A. Torres Oueiruga:

• (من الممكن أن الإله الذي يظهر في الكتاب المقدس يكشف عن نفسه في كتبٍ أخرى وديانات أخرى، وحين نستغرب هذا، فإن هذا يكون بمثابة ثورة حقيقية، وحتى الآن فلسنا قادرين ولا واعين بها.

• لذلك فإن جميع الديانات تعتبر نفسها ديانات ذات كتابٍ منزل، وهي حقيقة كذلك. ولأجل ذلك فإنها جميعاً تكون ديانات حقيقية، ولكن ليس كامل ما يوجد فيها ويقال ويعتقد يكون دائماً شيئاً صواباً، أو أنه لا توجد فيها تحويراتٌ وتبديلات، بل وأيضاً أمور شاذة غير لائقة في لحظةٍ من لحظات تاريخها، وإنما فيما يتعلق بما تتألف منه من الحقيقة الأساسية... وهي أن العنصر الديني أمرٌ جوهري يتعلق بالخواص...

وهذه الحقيقة جزئية وجانبية في كل دين، ويمكن أن نتفهم بذلك صورة الإثراء المتبادل، والمساعدة والتصحيح)[٢].

يبقى بعد ذلك سؤال: من الذي يتولى التقاط الحقائق الأساسية وتحديدها من كل دين، ثم نظمها في عقد جديد، واستبعاد الشاذ غير اللائق؟ وما هو المعيار الذي سيحتكم إليه ذلك الملتقط؟ أهو الإسلام

---

(١) ولد في لكورنيا ـ شمال إسبانيا ـ عام ١٩٤٠م. دكتوراه في اللاهوت من روما سنة ١٩٧٣م، وفي الفلسفة من سَنتياقِب ـ إسبانيا ـ عام ١٩٨٨م. أستاذ فلسفة الدين في جامعة «سَنتياقِب» من مؤلفاته: استعادة الخلاص ط ١٩٨٥م، الحوار بين الأديان ط ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٦٧).

(٢) إلى الجذر (١٦٧).

أم النصرانية أم الهوى؟ كما قال تعالى حاكياً عن أسلافهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

١١ ـ عبد الرحمن شريف شيرغي[(١)]:

• (إن أكبر خطر في الحوار الإسلامي المسيحي، أن نحاول الحوار من وجهة تاريخية فقط. وعلى هذا الأساس فإن هذا الحوار بادىء ذي بدء سيكون حربياً. إن الرذيلة التاريخية الثقافية لديها نتيجة نفسية مباشرة: الولع بإقناع الآخر بحججنا وتعليلاتنا.

• إن الحوار بين الأديان ينبغي أن ينتقل عبر هذا المنخل؛ رحلة صوب أحشاء الإنسان، كي نخمد جذوة الشيطان، شيطان المركزية و«الأنا»، وتهدئة هذه «الأنا» القوية السلمية الموجودة في داخل كل منا، بطريقة سرية غير معروفة. هذه «الأنا» التي نتخذها دائماً حارساً ومدافعاً عن أنفسنا ضد الآخرين، وضد أنفسنا أيضاً.

• إني أحلم، وهذا من أحلامي الحميمة، أن يأتي يوم نتقارب فيه بعضنا من بعض، ونقدم لأنفسنا، ونبحث معاً، ونزرع معاً المحبة، وليس الكراهية، وأن نحمل في أكفنا حمامة السلام، ولا نحمل خنجراً نخفيه بين ثنايا ملابسنا)[(٢)].

إن أحلام شيرغي لن تتحقق إلا بالتنصل من التاريخ، والتنصل من الذات والضمير الديني، ليبقى بعد ذلك مجتثاً من أصوله ما له من قرار. إن المحبة والسلام من مقاصد الإسلام الاجتماعية والدولية، ولكن لا باعتبارهما معنيين مجردين، بل ضمن العقيدة والشريعة التي جاءت من عند الله.

---

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (٦) (٩٦٠).
(٢) إلى الجذر (١٨٣).

١٢ ـ خيسوس رامون إتشفاري[١] Jesus Ramon Echeverria:

• (أعتقد أن الرياح التي تشجع نَفَس هذا العالم الذي نحن فيه ستجعل أنغام الديانات الهندية والمكسيكية... وليس فقط السامية والأروبية والعربية، تصدح موسيقاها، وسوف تستمر في صبغها، حتى بعد زمننا هذا، لكل الإنسانية التي عانت من التسوس والتشقق.

وهذه الديانات إن صمتت واختفت واندمجت في غيرها من جديد في هذا العالم الذي ظهرت فيه، فهي لم تمت. فإن الأنغام السامية والأزتكية[٢] والأوربية والفنتوية والهندوكية والعربية ستكون أجمل من أي وقت مضى.

• إن الرمز أكثر من كونه يلتقط الحقيقة ويحبسها، فإنه يكشف مغزاها، ويجعلنا نحن أيضاً ننخرط فيه إن استطاع أن يحركنا ويثير فينا الشفقة، تماماً كما تفعل الحقيقة الرمزية نفسها. وهذا ما ينبغي أن يحدث لأنه بصورة أو بأخرى يشترك في حقيقة ما يمثله.

■ إن كان المصريون والسود والنساء في عالمنا هذا اليوم قادرين على أن يشعروا أنهم جزءٌ متكامل مع التقليد والعرف اليهودي والمسيحي الممتد لآلاف السنين، والذي اعتورته تغييرات جد جذرية، وقعت أو ينبغي أن تقع، إذاً فلا شيء هناك يمكن أن يعوق في بداية الأمر، أن يكون أناس غير ساميين وغير أوربيين، أن يشعروا، وبكل

---

(١) ولد عام ١٩٤٥م ودرس في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا. كاهن من رهبانية الآباء البيض منذ عام ١٩٦٥م. اشتغل خمس عشرة سنة في إفريقيا الغربية. مدير مركز الإعلام والتوثيق الإفريقي «سيداف» في مدريد، لمدة ست سنوات، ويعمل في تونس. وله اهتمام بتفسير وشرح تقليد وتاريخ الكتاب المقدس. إلى الجذر (١٩٧).

(٢) نسبة إلى شعب الأزتيك، الذي سكن المكسيك منذ القرن الثامن الميلادي، وساد حتى قضى عليه الإسبان. المنجد في الأعلام (٣٨).

سرور وفرح بمثل هذا التقليد والعرف. وبطبيعة الحال في شكلهم الجديد؛ غير السامي، وغير الأوربي)[١].

إن الكاتب يتفق مع الداعين إلى كسر القوالب ذات الصبغة الإبراهيمية، ويدعو إلى تمثل بقية الوثنيات التي تعج بها أرجاء الأرض لتكوين مزيج من دين، أو تدين جديد، يرقص على أنغامه كل «مجذوب» استهوته الشياطين، ويهيم في رموزه كل باطني زنديق لا يعرف حداً ولا رسماً. وهذا ما يريده «غالينـدو» في هذه الجولة الثانية من مؤتمراته بالمراسلة «البحث عن لغةٍ مشتركة من أجل حوار بين الأديان»، لغةٍ تَنفك من إسار الإرث الإبراهيمي، ذي الأصل التوحيدي، وتنطلق متمردة لتستوعب ملل الكفر والوثنية تقرباً لصنم التقريب الديني.

المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة ـ تنظيم كريسلام:

«من أنا في قولكم أنتم؟» إنجيل متى (١٦، ١٦) عام ١٩٩٧م

وردت هذه الجملة الاستفهامية التي وسم بها غالينـدو مؤتمره الثالث بالمراسلة في إنجيل متى، منسوبةً إلى عيسى عليه السلام، ضمن القصة التالية: (ولما وصل يسوع إلى نواحي قيصرية فِيلبُّس، سأل تلاميذه: من ابن الإنسان في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان، وبعضهم الآخر يقول: هو إيليَّا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الأنبياء. فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي. فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا. فليس اللحم والدم كشفا لك هذا، بل أبي الذي في السموات) متى (١٦/ ١٣ ـ ١٨)[٢]، قال غالينـدو:

---

(١) إلى الجذر (١٩٧).

(٢) العهد الجديد (٨٢ ـ ٨٣).

(الموضوع الذي اخترناه لهذا المؤتمر... هو شخصية (عيسى الناصري). هذه الشخصية التي تفصل بيننا، وفي الوقت ذاته هي شخصيةً متعارف عليها، ومشتركة بيننا نحن المسلمين والمسيحيين.. هناك أمرٌ لا يختلف عليه اثنان، وهو أنه منذ قرون يوجد موضوعٌ معلق بين المسلمين والمسيحيين: إنه «عيسى ابن الله». وهو الأمر الذي يعقّد باعتبار كيفية طرحه حتى الآن، العلاقات الطيبة الإسلامية والمسيحية. وهو من ناحية ثانية يطرح علينا سؤالاً لا يمكن التغاضي عنه، وينبغي علينا أن نجيب عليه: «من أنا في قولكم أنتم؟»... وهذا السؤال محور هذا المؤتمر الدولي الثالث: ماذا تريدون أن تقولوا حينما تقولون إن عيسى هو ابن الله، أو ليس هو ابن الله؟)[1].

هذا بيت القصيد. وهذا ما أمضى غالييندو فيه قرابة عشر سنين يُمهد له، ويخطط لبلوغه، من خلال أعمال المؤتمرين السابقين الهادفين لإرساء أسسٍ متحررة للحوار، واصطناع لغة له، وقد حان الوقت للانتقال من التجهيزات الفنية إلى المضامين الموضوعية. والكاهن الأسباني الكاثوليكي، المنتمي إلى الجماعة التنصيرية الشهيرة «الآباء البيض»، إيميليو غالييندو آغيلار، لم يخامره شك، رغم دعوته الملحة للتشكك، في نصرانيته، وضرورة صيرورة الناس إليها، فها هو يقول مستبقاً أعمال المؤتمر، وبعد طرح سؤاله السابق، وقبل سماع إجابة المشاركين: (وهكذا فإن ما كان ينبغي أن يكون بالنسبة لنا جميعاً الطريق والحقيقة والحياة، صار آية يناهضها الناس، وعلماً تتضارب أقوالهم حوله). يريد بذلك المسيح عليه السلام.

وجرياً على عادته في توجيه أسئلةٍ محددة للمشاركين في مؤتمراته «الموجَّهة»، فقد فصل السؤال السابق في ثلاثة أسئلة:

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (٧، ٨).

١ ـ ماذا نقصد نحن معشر المسيحيين حينما نقول: إن عيسى هو ابن الله؟

وماذا نقصد نحن معشر المسلمين حينما نقول: إن عيسى ليس هو ابن الله؟

٢ ـ هل تلمح بصيصاً أو بداية إجابة، مع الوفاء للمعتقدات الموروثة، لا تجعلك تقع في تناقضٍ تام بين الديانتين؟

٣ ـ ما النتائج التي تستخلصها من ردك على السؤالين السابقين لإثراء الحوار الإسلامي المسيحي إثراءً متعمقاً بصفة الخصوص، وللحوار بين الأديان بصفة العموم)[١].

وقد استكتب في جولته الثالثة هذه ثلاثة عشر كاتباً عامتهم من أتباع ملته الكاثوليك، وما غبر: ما بين صوفي محترق، ومدع للإسلام، ومستغرب يحمل اسماً إسلامياً.

وسنعرض لبعض المقتطفات التي أبرزها غالييندو من مقالاتهم، ثم نعود لما كتبه هو في مقدمة الكتاب لاستخلاص النتائج.

١ ـ خيسوس سالَس مارتينيث[٢] Jesus Salas Martinez:

• (نريد أن نشير إلى أن مجموع ما قيل لنا يستشف منه أنه في

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٢).

(٢) ولد في «سوفلي» المريَّة ـ إسبانيا ـ عام ١٩٣٥م. قام بدراسة الفلسفة اللاهوتية في بلجيكا، وفي مدينة «قرطاجنة» «تونس». وهو قسيس من الآباء البيض منذ عام ١٩٦٠م. حصل على الدكتوراه في اللاهوت عام ١٩٦٣م، وعمل أستاذاً للاهوت في بلجيكا عام ١٩٦٤م. ذهب في بعثة تنصيرية إلى زائير سنة ١٩٦٨م. كان المسؤول عن الآباء البيض في إسبانيا عام ١٩٧٠م، وكان المساعد العام للآباء البيض في روما سنة ١٧٤م. وعاد إلى زائير عام ١٩٧٦م حيث كان المسؤول عن تكوين المعلمين الدينيين، والذين كان قد أعد لهم سلسلةً من المنشورات باللغة السواحلية. من أنا في قولكم أنتم (١٠٥).

عيسى ومن أجله قد قام تلاميذه بتجربةٍ بأقصى حدودها، وبصورة فريدة بالاقتراب من «السر» الذي لا غبار عليه لحياة الإله الذي ظهر أمامهم في صورة الطيبة والترحيب والعفو والتحرير والأمن والبساطة والكمال. وهذا بالنسبة لي هو مغزى ومضمون تعبير أن «عيسى ابن الله».

• هذه التجربة ذات الحد الأقصى التي قاموا بها في عيسى هي التي حملتهم بصورة لا مناص منها أن يقولوا شيئاً بخصوص عيسى نفسه. وبسبب ذلك استخدموا الرتب والتعبيرات التي كانت في حوزتهم، والتي كانت موجودة أساساً في الثقافة والتاريخ اليهوديين، والتي أضافوا إليها غيرها من أصلٍ إغريقي روماني. ومن تلك التعريفات الكثيرة كان يوجد تعبير «ابن الله». وفي بداية الأمر ربما يكونون قد استخدموا هذا التعبير كغيره، حيث رأوا أنها تعبيرات قادرة على التعريف بشيءٍ يريدون أن يعبروا عنه.

• إذاً، يقع في خطأٍ عميق بالتالي، من يريد أن يستخدم هذه الصياغات أو التعبيرات المتنوعة التي يستخدمها أولئك الكتَّاب، كما لو كانت التعبيرات الوحيدة الممكنة، أو كما لو كانت تشتمل على تعبير محدد ليس بمتغير، وصالحٍ على الإطلاق طبقاً لما يعنيه حرفياً)[١].

إننا نبرىء حواريي المسيح عليه السلام، ورضي عنهم من مقالة الكفر الفاجرة التي ابتدعها من بعدَهم من الخلوف، حتى أن العبارة المنسوبة إلى بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحي» متى (١٦/١٧)، لم ترد إلا في إنجيل متى فقط، دون سائر الأناجيل[٢]، مما يكشف عن درجة الدس والعبث في أخطر مسائل الاعتقاد.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٥٠).

(٢) انظر طبعة الرهبانية اليسوعية لـ «الكتاب المقدس. العهد الجديد» (٨٢) حاشية (٧).

والكاتب يحاول تبسيط القضية بتصويرها صياغةً لفظية أملتها الثقافة المحيطة. والأمر ليس مجرد تجوّز في الألفاظ فإن النصارى ـ بما فيهم الكاتب ـ يخلعون على المسيح عيسى ابن مريم صفات الله وأفعاله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً عظيماً ـ ويزعمون أن الله ظهر أمامهم في صورة المسيح.

فما الجديد الذي جاء به هؤلاء النصارى الجدد في غمرة نقدهم للتأثير الإغريقي على النصرانية؟

٢ ـ سيريل سليم بطرس[١] Cyrille Salim Bustras:

• (إن المجادلات بين المسيحيين والمسلمين على مدى قرون خلت لم تكن قائمةً على أساس من النصوص الإنجيلية، بل بالأحرى على مسمياتٍ لاهوتية منقولة حرفياً عن الفلسفة الإغريقية، واعتمدتها المجامع المسكونية ضد المارقين الذين كانوا يستخدمون المفاهيم الفلسفية الإغريقية.

• إن إنسان اليوم، كما كان اليهود زمن الكنيسة الوليدة يتساءل: ما معنى أن عيسى ابن الله؟ وتكمن الإجابة في شخص عيسى نفسه: الرب ظهر بشخصه وكماله في عيسى، في كلماته وأعماله وموته وبعثه.

---

(١) ولد في بعلبك ـ لبنان ـ عام ١٩٣٩م. درس الإنسانيات والفلسفة المدرسية في «حريصا» بلبنان (١٩٤٧ ـ ١٩٥٧م). بدأ مسيرته اللاهوتية في صفوف المبشرين التابعين لجماعة القديس بولس مع الآباء البيض بمدينة «كاب» بفرنسا (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م). ودرس اللاهوت في دورة القديسة أنا بالقدس (١٩٥٨ ـ ١٩٦٢م). رسم كاهناً عام ١٩٦٢م. دكتوراه في اللاهوت من الجامعة الكاثوليكية ببلجيكا (١٩٧٤ ـ ١٩٧٦م). أستاذ اللاهوت في «حريصا». إسقف إغريقي كاثوليكي في بعلبك ١٩٨٨م. مقرر لجنة سنودس الأساقفة في لبنان عام ١٩٩٥م. من منشوراته: الاشتراكية، المسيحية، وتحرير الإنسان في فكر روجيه جارودي ط عام ١٩٨١م، اللاهوت المسيحي ورجل هذا العصر. من أنا في قولكم أنتم (٣٥).

• إن المصطلحات اللاهوتية تعبير بشري عن الحقيقة الإلهية التي كُشف عنها في تاريخ الفداء. ولما كان الأمر هكذا فالتعبير لا يمكن أن يكون تعبيراً لا حركة فيه. فالعرف والتقليد الذي ورثته الكنيسة هو شيءٌ حي يحتاج إلى صياغة بشكل مستمر حتى يكون مفهوماً مع انصرام القرون.

• إن الحوار الإسلامي المسيحي لا يسعى إلى القضاء على الخلافات في العقيدة، ولا على فروقات التعبير بين دينٍ وآخر، بل إن ما يسعى إليه هو قشع الأخطاء، مع التركيز على ما يوحد بين الأديان بخصوص العقائد فيما يتعلق بشخص عيسى، بالنظر إلى تدخل الإله في تاريخ البشر)[١].

وهذا مثلٌ آخر لكاثوليكي عربي يُحيل على الوساطة الثقافية الإغريقية في التسبب في وقوع الجدل الإسلامي النصراني عبر القرون، ويبرىء النصوص الإنجيلية من تبعة تلك التعبيرات التي أنشأتها حاجة ذلك الزمان وثقافته، ثم لا نجد أثراً لهذا التفسير، بل نجد مزيداً من التأكيد على المضامين الكفرية لتلك الصياغات اللغوية حين يقول بصراحة: الرب ظهر بشخصه وكماله في عيسى. فماذا ينتظر إذاً من دعوته إلى صياغة مستمرة لموروث الكنيسة يكون مفهوماً للبشر؟![٢].

إن العقيدة الحقة لا بد أن تكون واضحة حاسمة في ألفاظها ومعانيها، بل لا بد أن تكون الألفاظ والتعبيرات التي يوصف بها الحق سبحانه «توقيفية»، لا يتدخل البشر في صياغتها، ثم ترميمها، أو إعادة تشكيلها، كلما جرت الرياح بما لا تشتهي السفن.

---

(١) من أنا في قولم أنتم (٣٥).

(٢) انظر ما يعده كيرلس «سيريل» سليم بطرس أخطاءً يسعى إلى قشعها، عند الحديث عنه في مبحث «النصارى العرب» من الباب الأول.

٣ ـ روجيه جارودي[١]:

سبق عرض مشروعه الفكري والعملي للتقريب بين الأديان، ونظراً لأهمية النصوص الواردة في مقالته في المؤتمر نثبتها هنا:

• (البعض كان يعتمد على قراءة حرفية بحذافيرها، بدون نقد ولا مفهوم تاريخي للقرآن، فصارت كل كلمة فيه متحجرة بفعل العرف والتقليد، لا مساس به. والآخرون يكررون بالمثل عقائد لا مساس بها بلغةٍ لم يكونوا يعرفونها «الإغريقية، غير القادرة على ترجمة تجربة عيسى التي لا سابق لها».

• المسلمون أعطوا للمسيحيين مفهوماً للثالوث، لم يكن هؤلاء يعتقدونه أبداً من قبل. لأننا قرأنا القرآن بصورة حرفية، بدون أن نأخذ في الحسبان على الإطلاق، السياق التاريخي. كانوا يكررون صيغة مؤداها أن العذراء مريم هي الأقنوم الثالث في الثالوث: «اتخذوني وأمي إلهين من دون الله».

• حقيقي أيضاً أن الصياغات الإغريقية لمفهوم اللاهوت بمجمع نيقية (٣٢٥م) كانت غير قادرة على تفسير وترجمة تجربة عيسى المستحدثة، والتي كانت غريبة تماماً على الثقافة واللغة الإغريقيتين. فعلى سبيل المثال: حين نقول إن عيسى من نفس مادة الإله فهذا ليس له معنىً إلا عند الإغريق الذين لا تعني كلمة «مادة» بالنسبة لهم سوى الشيء الذي يكون خلف المظهر. وذلك لا يعبر بحالٍ من الأحوال عن الحقيقة الحية لعيسى.

• الحقيقة العلمية بالنسبة للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين هي أنه لا يمكن أن يكون هناك حوارٌ حقيقي بين مذهبين، ولا تقارب

---

(١) انظر: ترجمته، ودراسة محاولته للتقريب بين الأديان في المبحث الأول من هذا الفصل.

لاهوتي، إن كان كل طرفٍ يحمل في داخل دينه الحوار العقدي، ويضعه نصب عينيه)[١].

يزعم هذا الدَّعي للإسلام، أن المسلمين هم الذين ألصقوا مفهوم الثالوث بالنصارى! إن الذي وصمهم بذلك رب العالمين، عالم السر والجهر، الذي لا يظلم مثقال ذرة، في كتابه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء] لم تتقاذفه اللغات والعُجمات والترجمات المختلفة التي يعلن جارودي ها هنا تأثيرها العميق على المجامع المسكونية النصرانية التي صاغت عقيدة التثليث، وغيرها من العقائد الوثنية. ومن ثم يدرك جارودي استحالة التقارب بينها وبين التوحيد الخالص الذي جاء به محمد ﷺ.

٤ ـ خوسيه إغناثيو غونثاليث فاوس[٢] Jose Ignacio Gonzalez Faus :

• (إن الهوية المسيحية لا تتألف فقط من القول أو التصريح بأن

---

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (٣٥) واستدلال جارودي بآية: «اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» مغالطة، حيث حذف صدرها: «أأنت قلت للناس»، وفسر «من دون الله» بـ مع الله ليتحصل له ثلاثة. ولم يفرق بين اتخاذ النصارى لهما إلهين وزعم مريم أقنوماً. ومع ذلك فقد اعترف بنفسه أن بعض النصارى كان يعد «مريم» أحد الثالوث.

(٢) ولد في بلنسية ـ إسبانيا ـ عام ١٩٣٩م. نصِّب في جمعية يسوع عام ١٩٦٣م. أستاذ اللاهوت النظامي بكلية اللاهوت ببرشلونة. دورات دراسية متفرقة في المكسيك والسلفادور ونيكارغوا وبورتوريكو... الخ من (١٩٦٩ ـ ١٩٧٧م) مدير «مختارات اللاهوت»، مسؤول الدراسات اللاهوتية بمركز الدراسات اللاهوتية والعدالة. من مؤلفاته: البشرية الجديدة. مقالات حول الظاهرة اليسوعية ط ٧. عام ١٩٨٧م، المدخل إلى عيسى ط ٦. عام ١٩٨٧، اختيارات تفسيرية لألوهية عيسى ـ مع آخرين ـ ط عام ١٩٨٣م. من أنا في قولكم أنتم (٦٧).

عيسى هو ابن الله، بل يتعلق الأمر بالعيش فيه. ومن المحتمل أن لا يكون عيسى نفسه قد أعلن أبداً أنه إله، بل إنه قد عاش هذا الإلهية بصورة وجد الناس فيها حياته بشكل أقل دينية من كلماته. ويقول إنجيل يوحنا إنه ذات مرة كانوا يريدون القبض عليه ليس لأنه كان يقول أنه ابن الله، بل لأنه كان يفعل كالإله.

• حينما نشرح ديننا نحن المسيحيين الغربيين فسيكون علينا أن نوضح أيضاً أننا أبناء إرث تاريخي محدد يفعل فعله فينا بصورة سلبية ضدنا. وأشير بذلك إلى دخول المسيحية، وعدم مثاقفتها للعالم وللثقافة الإغريقية مثاقفة مقنعة تمام الإقناع. لأن العقل الإنساني يمكن أن يصل حتى العقل النهائي للأشياء.

• إن ألوهية عيسى ليست إلا، ولا شيء آخر، الأساس الحاسم لأخوة البشر. فبين جميع الناس تجبرنا ألوهية عيسى نحن المسيحيين على الأخوة، معطين أنفسنا أساساً جوهرياً مطلقاً لها)[1].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

لقد تجاوز هذا الكاتب قضية المؤتمر «هل عيسى ابن الله» إلى تقرير عقيدة أن عيسى هو الله. وصدق الله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وفوق ذلك يريد هؤلاء الكريسلاميون أن يتخذوا من ألوهية عيسى المزعومة أساساً حاسماً وحيداً لأخوَّة البشر. إن مبلغ تحرر هؤلاء من إرثهم الكنسي المثقل بغموض الفلسفة الإغريقية، وتعقيدات المجامع المسكونية أن يتحسروا لا على تسلل الشرك والوثنية إلى عقائدهم، بل على عدم قدرة الثقافة واللغة الإغريقيتين على توضيح ألوهية المسيح وبنوته، اللتين ليستا محلاً للنقاش، وإنما النقاش في كيفية «تسويقهما» بلغة جديدة، واعتمادهما أساساً لوحدة الأديان.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (٦٧).

٥ ـ خيسوس آبيلينو دِلابيندا[١] Jesus Avelino de la Pienda:

• (أن يقول المرء: إن عيسى هو ابن الله، لا يمثل مشكلاتٍ كبرى للوهلة الأولى. كذلك نقول: «نحن جميعاً أبناء الله». وفي كثيرٍ من الأديان الأخرى، يكون للآلهة أبناء. فمفهوم البنوة له معانٍ مختلفة. وأهمية هذا المفهوم أو ذاك تتوقف على المحيط الثقافي.

• إن البنوة الإلهية لعيسى تتعقد حينما يتعلق الأمر بشرح لماذا هي وحيدة نوعها. وهنا إنما يكون الجهاز المفهومي للرؤية الإغريقية للعالم يدخل بأكمله ليقرر رأيه في القضية...

• هذه التأملات لا تبحث عن أن يتنازل المسيحي عن كيفية تصوره وشرحه «سرّ عيسى»، بل إنها تحاول المساعدة في تكوين وعي بالأصل الثقافي لهذه التصورات، ولقصورها بالتالي. وهي ترمي إلى تفادي أن يقتصر سر عيسى على مثل هذه التصورات، فإن قصرناها على مفهوم عيسى في الثقافة الإغريقية، فمن الصعوبة بمكان أن نجعله مفهوماً عند أعراف دينية أخرى.

• إن كنا واعين للنسبية الثقافية لهذا الحدث، فسوف نكون أقل تشدداً حينما يستلزم الحوار بين الأديان منا مرونة، وسوف نكون أكثر تسامحاً مع صور أخرى لفهم وتفسير السر اليسوعي، وسنكون أكثر احتراماً للأنبياء الآخرين، ومع أبناء آخرين للإله مع تجسداتٍ أخرى للكلمة الإلهية)[٢].

لقد حاول الكاتب التقليل من بشاعة إطلاق القول بأن عيسى ابن الله بتنظيره باستعمالات أخرى ـ تفتقر بدورها إلى الصحة ـ كمقالة اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، ولكنه ينحى منحى

(١) تقدمت ترجمته في المؤتمر الثاني رقم (٧).
(٢) من أنا في قولكم أنتم؟ (٩١).

المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م) الذي وسَّع مفهوم الخلاص لغير شعب الكنيسة، انطلاقاً من مسوغاتٍ مدارها على أن «سر الروح القدس» يعمل بصورة خفية في تلك الديانات والتقاليد يثمر ما هو خير وصواب في أديانهم، ولكنه لا يكتمل إلا بالتوجه الكامل نحو الإيمان بالمسيح[١]. فهذا ما يبرر المرونة والتسامح اللذين يستلزمهما الحوار بين الأديان للمساعدة في بلوغ الرشد المطلوب في زعمهم.

٦ ـ محمد طالبي[٢]:

• (بالنسبة للإسلام، عيسى ليس هو المسيح الذي وصل للمسيحيين، والذي ينتظره اليهود، إنما عيسى ببساطة هو الممسوح، الذي تلقى مسحة مقدسة خاصة بالأنبياء، وأيضاً بقساوسة إسرائيل، دون إشارة ما إلى الملكوت، ولا إلى العصور المسيحية.

• القرآن يتحدث عنه بما يلي: «إن عيسى هو كلمةٌ تخرج، تنبعث من الإله (٣/ ٤٥) «كلمته وجهها إلى مريم وروح ينبعث منه» (٤/ ١٧١)، «جزيء من الروح بثه في مريم» (١٢/ ٦٦)، «يؤيده روح القدس» (٢/ ٨٧، ٢٥٣، ٥/ ١١٠) وقد بشر به يوحنا المعمدان على أساس كونه «كلمة تنبعث من الإله، وهو سيد وحصور ونبي من الصالحين» (٣/ ٣٩).

• ومن هذه النصوص لا يستشف المسلمون، ولا يستخلصون نتيجة مؤداها أن عيسى يصير من طبيعة خاصة، لأن من المستحيل أن يتخيل المرء هذا الشيء في السياق القرآني، فعيسى يظل بالتمام وحسب، إنساناً.

---

(١) انظر موقف الكنيسة الكاثوليكية في الباب الأول.
(٢) تقدمت ترجمته في الباب الأول (٦٥٧).

• أن لا يعترف المسيحيون ـ أو أنهم صاروا لا يعترفون ـ بالعقائد التي يدينها القرآن، لا تنتج سوى إسعاد المسلمين، وتقدم إمكانات أكبر لتقارب متبادل. لكن هذا سيكون بمثابة التعرض لإحباطات مريرة حين نفكر في أن سر الثالوث مهما كانت رقة اللغة المستخدمة ورهافتها في التعبير، والتقدم المحرز في صياغة ذلك عقلياً، يمكن أن لا يتصالح مع التوحيد كما يؤمن به المسلمون)[١].

في أحسن المحامل لهذا الكاتب الذي يتحدث باسم الإسلام، يمكن القول أنه أساء التعبير؛ إذ كان ينبغي أن يقول إن صفات الألوهية التي يطري بها النصارى المسيح عليه السلام لا تنطبق على عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم الذي أرسله إلى بني إسرائيل. كما أنه أساء في ترجمة معاني الآيات القرآنية في شأن عيسى عليه السلام بما يوقع في النفس معنى الحلول والتجسد الذي يقول به النصارى، كترجمته لقوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] بـ «جزيء من الروح»، وقوله: «تنبعث من الإله»، دون أن يبين بجلاء أن «من» ليست التبعيضية، وأن «الروح» التي خلق منها عيسى هي روح مخلوقة، وأن إضافة «الكلمة» إلى الله إضافة تشريف وتكريم، أي كلمة تكلم الله بها، فكان بها عيسى، ولم يكن هو تلك الكلمة.

وكل هذا لا يسلم به النصارى اليوم، ولم يتراجعوا عن العقائد التي يدينها القرآن فما مصدر سعادة الكاتب إذاً؟[٢].

٧ ـ أنطونيو بينيرو ساينث[٣] Antonio Pinero Saenz:

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (١٠١).
(٢) انظر عرض بعض آرائه في فصل: الإسلاميون العصرانيون.
(٣) أستاذ كرسي فقه لغات العهد الجديد المعاصرة بجامعة مدريد المركزية. حصل على الإجازة في الفلسفة المحضة، وفي فقه اللغات الكلاسيكية، وفي فقه لغات العهد القديم الثلاثة. دكتوراه في فقه اللغات الكلاسيكية عن=

• (هل يمكن لأحدٍ أن يؤكد أن عيسى التاريخي يمكن أن يكون الابن الإلهي، من نفس الذات، كما تعلمه الآن العقيدة؟ هذا السؤال، رغم ذلك، مع كل ما يحتويه من خطورة وأهمية، لا يجد أدنى إجابة واضحة..

• هناك من يتحدث بألف مواربة ومواربة وظُرف حول ظاهرة اليسوعية المضمرة، وعن نوعٍ ما من ضمير تقاربي بين عيسى والأب، وعن علاقة ديناميكية، وعن استنضاح تام لكل ما هو ألوهي الخ...، لكنهم لا يجيبون بوضوحٍ، وجلاء مطلقين على القضية. سبعة هي فحسب نصوص العهد الجديد التي تؤكد بوضوح وربما بشكل محتمل جداً إلى أن عيسى هو الله... ولكن لا يوجد من بينها نصٌ يتكلم فيها عيسى بنفسه عن نفسه ولا عن طبيعته، بل آخرون هم الذين يعطون تأكيدات حول هاتين النقطتين.

• طبقاً للانتقادات الموجودة، بما في ذلك الكاثوليكية، لا يوجد في أي من نصوص الأناجيل الثلاثة الأولى تأكيد مباشر وغير مباشر أن عيسى هو الله، لكن هذا إنما ينجم بكل تأكيد عن شخصية عيسى التاريخية.

• وكنتيجة ختامية: فمن ألفٍ وثلاثمائة وخمس عشرة مرة ترد فيها كلمة Dios أي الإله، في العهد الجديد، لا يوجد موضع واحد يقول: «إن عيسى هو الله»؛ وليس يوجد بالمثل أي عبارة يتفق حولها الناقدون تكون قد نَمَّت عن شفتي عيسى التاريخي)[1].

= أطروحة بعنوان: المسيحية خلال القرنين الأولين، حصل بها على جائزة لويس بيبس، التي يمنحها المجلس الأعلى للبحوث العلمية في أسبانيا عام ١٩٧٦م، ألف ما يزيد عن ثلاثين مقالاً علمياً، ونشر سلسلة، الأناجيل الزائفة للعهد القديم، ٥ أجزاء. ويقوم حالياً بإعداد عمل بعنوان: الأعمال المنسوبة زيفاً للقديسين. من أنا في قولكم أنتم (١٢١).

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٢١).

الحق أن هذه الاعترافات الخطيرة من كاتبٍ يتبوأ منزلةً عالية في فقه اللغات الدينية، والدراسات النصرانية تنسف أصول اللاهوت النصراني، وتبدو ـ ها هنا ـ نشازاً بين جملة النقولات السابقة واللاحقة التي انتخبها غاليندو. والعنصر الوحيد الذي يتماشى مع ما ينادي به غاليندو هو عنصر التشكيك وحسب، وليت تشككهم يجري في هذا المضمار، علة أن يقودهم إلى الهدى.

٨ ـ سمير خوري(١):

• (الكلمات حتى وإن صارت متطابقة صوتياً واشتقاقياً، إلا إن معناها مع ذلك، مختلف في القرآن وفي الكتاب المقدس... فلا عيسى المذكور في الأناجيل هو عيسى القرآن، ولا المسيحيين هم النصارى. وتحديد هذه المعاني هو أمرٌ سابق لأي حوار.

• وبسبب كينونته وكلمته وعمله، فعيسى هو الكاشف عن الأب، وعن تعبيره الكامل.. لقد أخبر البشر بمعرفة حياة الإله الداخلية.

• إن إله عيسى هو الأب، إنه ليس الآن ذلك الكائن الرهيب، المشرِّع، القاضي، رئيس الجيوش، الأكبر، السلطان المطلق، السر الرهيب... إنه المحبة، والحنان، والوجْد، والترحيب، والهبة والعفو، السر الفاتن.

---

(١) ولد في جبيل «بيبلوس» ـ لبنان ـ عام ١٩٤٢م. ماروني لبناني. حصل على الإجازة في الفلسفة من جامعة الروح القدس «الكسليك» في جونية، وإجازة في اللاهوت من جامعة القديس يوسف التابعة لليسوعيين ببيروت. حصل على الدكتوراه من جامعة السربون بباريس. عمل أستاذاً في .U.S.E.K، ومنذ عام ١٩٧٧م يعمل كأستاذ كرسي بالجامعة اللبنانية. من مؤلفاته: تعاسة شعب. ط ١٩٧٩م، المتدينون في لبنان: شخصيتهم ومهمتم ط ١٩٩٥م. الموقف اليسوعي عند شعوب المشرق ط ١٩٨٣م، من هم أولئك الموحدون الذين يتحدث عنهم القرآن؟ ط ١٩٨٧م. شارك في العديد من المؤتمرت الوطنية والعالمية. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٣٧).

• بالنسبة للإسلام، الله هو كيان إلهي، لكنه ليس شخصاً أو أقنوماً إلهياً. فهو ليس إذاً علاقة بالنسبة لشخصٍ آخر يكون مساوياً له بالتطابق، ولا يخلق على شاكلته، فطبقاً لهذه التوحيدية، فالله لديه وظيفة هي الخلق، تقود إلى تبعية مطلقة له. لكن ليس لديه علاقات بالأشخاص، ولا عواطف، الله ليس له تاريخ. أتباعه موحدون)[1].

إن هذا الكاتب النصراني يحاول ستر سوأة المعتقد النصراني، بألوهية المسيح وبنوته، أمام نصاعة التوحيد الإسلامي، بعقد مقارنات جائرة، يفرق فيها بين عيسى القرآن وعيسى الإنجيل، والنصارى والمسيحيين، وإله المسلمين وإله عيسى، بعبارات تفتقر إلى التهذيب وتعظيم جنب الله. فهو يصف إله عيسى ـ الذي يتجسد في عيسى في نفس الوقت وفق معتقد النصارى الفاسد ـ بمعانٍ محببة، في مقابل صفات القوة والسلطان وما يقتضي الخوف والرهبة فقط، ومن ثم فاه بنفي العواطف عن الله، يريد نفي المحبة والرحمة والعفو ونحوها، موهماً أن ذلك هو اعتقاد المسلمين في ربهم سبحانه وتعالى! وكذب هذا الخوري، فالله سبحانه وتعالى موصوف في القرآن والسنة بصفات الكمال والجمال، كما هو موصوف بصفات العظمة والجلال، وعلاقته بأوليائه المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. فله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا يقاس بخلقه، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً. وقد سبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات].

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٣٧).

٩ ـ سميح محمود دغيم[١]:

• (إن المجهود المبذول في إخضاع النص القرآني لمتطلبات ومعايير منهجية حديثة، يصطدم مع التبجيل الذي يعطى للقرآن ولِلُغتِه. ويحدث الشيء عينه في المسيحية، وإن كانت هذه تظهر بصور أكثر مرونة، نظراً لأن إخضاع الأناجيل للدراسة لا يعني بالنسبة للمسيحيين إخضاعاً للتنزيل، حيث إن هذا الوحي المذكور آنفاً، أمرٌ متواصل عبر الروح القدس. لذا فإن الحوار يصبح غير متوازن، لأن المسيحيين، بهذا الاعتبار، ليسوا أهل كتاب.

• في لغة الإيمان، أليس من قبيل الحكمة الإلهية أن يتكلم الله من جديد للبشر بخطابٍ مناسب لكل حقبة؟ ولكن هذا لا يعني أن الله يمكن أن يتحدث لنا الآن أيضاً، بل يعني أن لنا الحق في أن نفهم ما يعرض علينا بصورة ملائمة لظروف عصرنا.

• ونحن في خواتيم القرن العشرين، من الملائم للجميع أن نتطرق ونواجه موضوع الدين من وجهات نظرٍ أخرى)[٢].

إن الفارق بين القرآن العظيم، والأناجيل التي بأيدي النصارى، ليست فقط لكون النصارى لا يعدون نقدها إخضاعاً للتنزيل، وإنما لأن القرآن باقٍ على أصله الرباني، كلام الله الذي تكفل بحفظه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

وها هي ذي الأناجيل التي أخضعت لمتطلبات ومعايير المنهجية الحديثة، قد تكشفت عن تناقضات ومعارضات للعقل والفطرة، تؤكد امتداد أيدي العبث والتحريف إليها، ومع ذلك لا يزال النصارى على معتقداتهم الشركية العتيقة. ولو كان هؤلاء المتطاولون يجدون منفذاً

---

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الثاني رقم (٩) (٩٩١).
(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٥٥).

صالحاً للطعن في القرآن العظيم، لما انتظروا أن يؤذن لهم، ولكنَّ سهامهم تتكسر أمام منعة القرآن وعزته، وصلاحيته لكل زمان ومكان وأمة.

وأخيراً فما حاجة هؤلاء إلى الإلحاح على المطالبة بالنقد، وهم يمنحون أنفسهم الحق في فهم ما يشتهون بصورة ملائمة لظروف العصر كما يزعمون؟

١٠ ـ خابيير بيكازا إبروندو[١] Javier Pikaza Ibarrondo:

• (بالنسبة لمحمد، فإن عيسى هو الإنسان الذي وصل إلى الغاية ونهاية الشيء. الإنسان الذي فيه يجري التعبير عن كلمة الله وروحه، لكن في حياته، فإن من يتكلم هو الإله الذي يحقق المعجزات. فعيسى إذاً ليس إلا إنساناً لا غير.

• بالتأكيد، فإن عيسى بالنسبة لمحمد يمثل حدثاً غير عادي، لحظة جوهرية لتواجد الإله في العالم، على نحوٍ يمكن لنا معه أن نأخذه على محمل وجود بشري للروح الإلهية..

• هنالك فقط حيث رسالة العدالة النبوية لمحمد، مع ظهور جماعة من المؤمنين «الخاضعين أو المسلمين لله»، تأتي موازية لخطبة الجبل التي ألقاها عيسى، بحيث يُخصِّب كلاهما الآخر في احترام أكيد. وهنا يمكن أن يوجد بهذا المعنى حوار ديني توحيدي... واليوم يمكن أن يحدث الشيء نفسه: هنالك فقط حيث نجد المشروع اليسوعي

---

(١) ولد في أوروسكو من بلاد الباسك ـ إسبانيا ـ عام ١٩٤١م، ودرس اللاهوت في مقاطعة سلمنقة، والفلسفة والكتابات المقدسة في روما. وعلى مدى اثني عشر عاماً درس في جامعة اللاهوت في سلمنقة، كأستاذ كرسي لتاريخ الأديان ونظرية العدالة الإلهية. ويتولى حالياً تكوين الطلاب التابعين لجمعية الرحمة في سلمنقة. ومن مؤلفاته: التجربة الدينية المسيحية ط ١٩٨١م، كلمة المحبة ط ١٩٨٢م، سر الإله ط ١٩٩٠م. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٦٩).

غير العنيف «المحبة المجانية المُحَوِلة» لعيسى ، يعود ليحتل مكانه في مركز الحوار. وبذلك يمكن أن يكون هناك لقاءٌ أو افتراق بين المسيحيين والمسلمين.

• بالنسبة لمحمد، فإن عيسى قبل أي شيء هو «عبد الله»... ومن المؤكد أنه نبي ورسول الله... بل وأكثر من ذلك، فاستناداً على عناصر من العُرف المسيحي، قَدَّم محمدٌ عيسى على أساس أنه «كلمة» و«روح»، تأتيان من جانب الله...)[١].

إن مكمن الخطر في هذا الضرب من النصارى الذين يُبدون التعاطف والموضوعية مع المسلمين، هو تسريب عقائدهم في خضم صياغتهم لمفهوم العقيدة الإسلامية، ضمن المشروع اليسوعي غير العنيف، فقد تقوّل هذا الكاتب على نبينا ﷺ ما لم يقله، بل ما جاء بنفيه ومنعه، من دعوى ألوهية المسيح، كما في الفقرة الثانية.

١١ ـ جواد نوربخش[٢]:

• (في رأينا، «ابن الله» تعني أن عيسى هو الابن الروحي للإله، على النحو نفسه الذي يكون كل «المحبين» لله هم أبناؤه الروحيون.

• في رأينا، قد يكون من الأفضل أن تترك الديانات المختلفة الشعوذات جانباً، وبعد أن تحطم أصنامها المعبودة، تقبل أن الإله هو «الوجود المطلق»، وأنه لا يوجد كائن ما سواه.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٦٩).

(٢) ولد في كرمان ـ إيران ـ طبيب نفساني. أستاذ ومدير قسم علم النفس بجامعة طهران حالياً. هو قطب للجماعة الصوفية «نعمة الله» منذ عام ١٩٥٣م. وقد تأسست هذه الجمعية في إيران في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي على يد الشاة نعمة الله والي، ومن معلمي الصوفية. من مؤلفاته: في فردوس المتصوفين؛ في الحانة، سبع مقالات حول الصوفية، عيسى في نظر المتصوفة، منتخبات من نصوص صوفية حول عيسى، علم النفس الصوفي. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٩١).

• للأسف، الناس عابدو أصنام، والموجهون الدينيون يستخدمون عبادة الأصنام هذه عند الناس بغية بلوغ طموحاتهم، ورغباتهم، ومناصب، وتحسين ظروف معاشهم.

لذا فإنه في الصوفية، كلما كان الإنسان متواضعاً، وبدون ألـ «أنا»، زادت صوفيته. لذا فإن معلمي الصوفية كانوا يشيرون إلى أنفسهم بـ «النكرة، ابن النكرة».

• ينبغي أن تتركز كل محاولة للزعماء الدينيين على التربية، وترسيخ قوة المحبة والشفقة عند مريديهم)[١].

لم تزل الصوفية محضِناً لوحدة الأديان، يجد دعاتها فيها ملجئاً ومغاراتٍ ومدَّخلاً لكفرياتهم منذ قديم الزمان. وها هو هذا الصوفي الوجودي المحترق، يجاهر بمذهب أهل الاتحاد والفلاسفة الدهرية، أتباع أرسطو والفارابي[٢] وابن سينا، من فلاسفة الإغريق والعجم، القائلين إن الله (هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق)[٣] وزنادقة الصوفية من أهل وحدة الوجود الذين لا يثبتون وجوداً سواه[٤]. ولهم في المسيح عليه السلام غلو وإطراء يضاهئون به قول النصارى. بل كفرهم أعظم من كفر النصارى. لأن النصارى قالوا بالحلول الخاص وهؤلاء عموا به جميع المخلوقات.

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٩١).

(٢) محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر، الفارابي. ولد في «فاراب» سنة ٢٦٠هـ. وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، ورحل إلى الشام ومصر. واشتهر بالفلسفة حتى سمي: «المعلم الثاني». من كتبه: الفصوص، وإحصاء العلوم، وغيرها. توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ. انظر: الأعلام (٧/ ٢٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٧٦)، البداية والنهاية (١١/ ٢٢٤).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٣).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥١٦ ـ ٥٤٦).

١٢ ـ نور الدين ريسوني[١]:

• (إن الفقرات القرآنية التي تتحدث عن عيسى، أو التي تشير إليه، ليست نافيةً بل هي مؤكدة. فالرفض يتطلب نفي حقيقة ما. والقرآن لا يرفض أي حقيقة. بل على العكس فإنه يعرض صفات هذه الحقيقة المتعلقة بعيسى. فالقرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله، بل يعلن ويشهد أن عيسى إنسان، وابن امرأة، ونبي، ورسول من الله.

• نعتقد أنه حتى اللحظة الحالية، أننا لم نصل ولا حتى إلى البدء في حوار إسلامي مسيحي حقيقي وصادق. ذلك لأن جميع النقاط المطروحة للتناقش تدور حول أمور تقلق المسيحيين بل بالأحرى، المسيحيين المعتقدين في الثالوث وحسب. على أن هذا لا يمنع التعاون في مشروعات محددة ومعينة، من أجل رفع مكانة الإنسان بين المسلمين والمسيحيين. وهذه مهمة تبدو لا غنًى عنها، بل وإلزامية وعاجلة)[٢].

إن مسلماً يعي إسلامه لا يمكن أن تصدر عنه هذه الجملة: «القرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله»، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهو القائل سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ٢]. وأكفر اليهود والنصارى بدعوى البنوة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة]. فإذا كان الحوار الإسلامي المسيحي الحقيقي والصادق، كما ينشد الكاتب،

---

(١) ولد في تطوان ـ المغرب ـ عام ١٩٣٦م. حصل على الإجازة في العلوم الاقتصادية، مشارك في مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٩٧)

(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٩٧).

يستلزم عدم إقلاق النصارى، بل إرضاءهم، بأن القرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ فليبحث له عن اسمٍ آخر، لا يكون الإسلام طرفاً فيه.

١٣ ـ مونسينور بيير كلافري[١]:

أشار غالينـدو إلى أن أسقف وهران ـ الجزائر، المذكور، كان قد وافق على المشاركة في أعمال هذا المؤتمر، قائلاً: (ببالغ السرور أقبل المشاركة في هذا المؤتمر الثالث بالمراسلة. سأحاول أن آخذ على عاتقي هذا التحدي الذي تضعونه أمامي، من أجل صالحنا، وكذلك من أجل تفهم أفضل متبادل:. ويتابع غالينـدو: (لكن ليس الجميع في الجزائر يعمل من أجل هذا التفهم الأفضل. ففي الأول من أغسطس ١٩٩٦م حصد اغتيال أثيم حياته. لقد قرروا بصورة وحشية إسكات صوته. لكن رسالته من أجل الحب حتى آخر رمق في سبيل شعبه، رسالته من أجل احترام الاختلافات والتضحية، كي يتعارف البشر كإخوة، فوق كل السياسات والثقافات والأديان، لا تزال حية)[٢].

وقد استعاض غالينـدو عن ذلك، بناءً على مشورة المونسينور هنري تِيسير، كبير أساقفة الجزائر[٣]، ببيان حرره كلافري وسائر أساقفة المغرب ـ شمال إفريقيا ـ.

خلاصة وتحليل:

لقد كانت الجولة الأولى من محاولات، أو بالأحرى، مناورات، غالينـدو تهدف إلى نقد تجربة الحوار الإسلامي النصراني، بصفتها السائدة حتى نهاية الثمانينيات الميلادية، لإغراقها في الشكليات

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (٥) (٩٥٩).
(٢) من أنا في قولكم أنتم (٢٠٩).
(٣) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (١) (٩٥٥).

والمجاملات التي لم تثمر سوى خبرةً في المداراة، وتحاشت الموضوعات الأساسية والعميقة التي تفصل بين الراغبين في التقارب خشية أن ينقطع الخيط الرقيق الممدود بين الجانبين، ومن ثم انصبت أعمال المؤتمر الأول على ذكر العقبات الحقيقية، وتوصيف الشروط الضرورية من الناحية الفنية فحسب، لإجراء حوار حقيقي. ودعا غاليندو إلى مطلبه الثلاثي: الانفتاح على ما هو عالمي، والانطلاق من النواة، والاعتراف بالتعددية. وكان من لوازم ذلك مواجهة المؤسسات الدينية التقليدية التي تحاول قمع التحرر، والتخلص من المطلقات، وإعطائها صفة نسبية.

وجاء المؤتمر الثاني تحت ستار البحث عن لغةٍ مشتركة، كخطوة أولى لترك القشرة، والدخول إلى اللب، أو الذهاب إلى الجذر. وكان هدفه الانعتاق من الإرث الإبراهيمي الذي تنتسب إليه الأديان الثلاثة، عن طريق الإجابة بالإيجاب أنه يمكن للمرء أن يكون مسلماً أو نصرانياً دون أن يكون من الناحية الدينية من أصلٍ ساميّ، أي على ملة إبراهيم، ويمكن أن يكون كذلك أيضاً دون أن يكون من الناحية الثقافية عربياً أو أغريقياً، أي يعبر عن إيمانه بلغة تينك الثقافتين. وثمرة هذا الإنجاز أن تتسع دائرة الدين لتشمل سائر الوثنيات الآسيوية والأفريقية. فبالتخلص من «الإبراهيمية»، يتم التحرر من أسار «التوحيد»، وبالاستغناء عن الثقافة بالإغريقية والعربية، يتم التحلل من مدلولات الألفاظ والاصطلاحات العقدية التوفيقية المقننة، واستبدالها بعتادٍ لغوي جديد، يصبح لغةً عالمية تستوعب مختلف المقاصد.

وإلى هذا الحد يقف كثيرٌ من دعاة وحدة الأديان من أمثال جارودي. فقصارى ما يتمنون تصويب جميع الأوضاع الدينية والتقاليد والحِكَم ـ كما يسمونها ـ شريطة ألا تتضمن دعاوى الفوقية، ونزعة بسط السيطرة، والتشبث بأوضاع تاريخية وفقهية خاصة. ولكن غاليندو يذهب إلى أبعد من ذلك. فأين يريد؟!

إنه يسعى إلى وحدة دينية، على أساس ألوهية المسيح، وبنوته لله تعالى، لكن بصياغة جديدة، وطرحٍ جديد! وهذه مقتطفات من سعيه:

(نعتقد أن جانباً كبيراً من المشكلة إنما ينشأ من ظاهرة محددة، وهي الانتقال بصورة لا يمكن تجنبها تاريخياً، بالتعبير المسيحي لمفهوم العقيدة، انطلاقاً من عقلية وثقافة ساميتين إلى عقلية وثقافة إغريقية لاتينية، وهي في نفس الوقت بعيدة كل البعد عن الفكر الإسلامي. وهو الأمر الذي اعتدنا تسميته: «ثمن الوساطة الثقافية»... واليوم، كالأمس علينا أن ندفع ثمن الوساطة الثقافية للحضارة التقنية، ذات الأبعاد العالمية، التي تدعونا نحن وهم لاحترام التعددية في الآراء تجاه شخصية عيسى الناصري... إن ضرورة تنفيذ هذه الوساطة الثقافية في عالمنا المعاصر بالنظر لعيسى الناصري، ابن الله، هو ما تريد كريسلام أن تثيره في هذا المؤتمر الثالث... كان بداخل هؤلاء المفكرين والمؤمنين رغبة سرية، وغير مفصح عنها لإجراء طرحٍ جديدٍ لعيسى ابن الإله. ويقول ذلك بكل دقةٍ وإصابة غونثاليث فاوس: «... إن صيغ العقيدة بشأن ظاهرة يسوع قد جرى التعبير عنها بأمور صارت صلاحيتها في عالم اليوم أمراً مشكوكاً فيه)... نلمس رغبةً عميقة في إطلاق النفس والتحرر، ليس من الأرثذوكسية الضرورية، بل من عبادة صنم الأرثذوكسية التي تلهب ظهورنا، عن طريق دراسة جادة ومتجددة تجعلنا نربط بين سر عيسى، ودرجات العقل التي تسود ثقافاتنا المعاصرة، نظراً لأن التوازن الثقافي والروحي لظاهرة اليسوعية الناجمة عن القوالب الإغريقية، وعن الثقافة الغربية العتيقة، قد انفصمت عراها بفضل الحضارة التقنية المنتشرة في جميع أنحاء العالم... يقول فرايخور: «كل حقبة تحتاج بصورة ملحة أن تقول لنفسها من هو عيسى بالنسبة إليها. فليس يكفي أن نكرر الصياغات العقدية التي اعتدناها في قرون خلت»... وهذا ما يفعله المسيحيون، فإنهم لا يرفضون ماضي

المجامع المسكونية واللاهوتية، بل إنهم يحاولون صياغة هذه العقيدة نفسها داخل تفهماتنا وثقافتنا المعاصرة)[١].

وصدق من سماهم «ضالين» فبينا يقول المرء قد رَجَعُوا ﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء]، إذا بهم قد نكسوا على رؤوسهم، وعادوا لما نهوا عنه! لقد نزل غالييندو بثقله في مؤتمره الثالث، الذي جعل محوره ماهية عيسى عليه السلام ليغوص بحثاً عن «السر»، وتلفُّه دوّامة «البؤرة» ليقع فيها، ويَعَضَّ بأصل «الجذر»، وينخنق فيه، على حد تعبيراته الباطنية.

(هذه الصفحات ليست سوى أن تكون عملية تقريبيةً للتعريف بألوهية عيسى. وينبض تحت كثير من هذه السطور الصدى الحقيقي لما أقرَّ به ابن عربي، المعلم العالمي المولود بمرسية، والذي يوجز لنا أفضل إيجاز الهدف من وراء هذا المؤتمر: «من يقع مريضاً في عيسى لا يبرأ أبداً» الهدف، وكذلك المنهجية: فبدلاً من طريق العقيدة والمذهب، هناك طريق التجربة، وما تستلزمه الحياة... إن أولئك الذين دخلوا في تجربة ابن عربي نحو عيسى، يعرفون بنور واضح كالنيران أن المطلق الوحيد هو الرب. وفي ظله الأُمَوِي ـ نسبة للأم ـ الذي نشعر به، ونقبله، كما نتعلم نحن البشر كيف نتفهم بعضنا بعضاً. إن الشيء الأمثل الذي يمكن لنا أن نفعله نحن معشر الباحثين عن الرب، لن يكون عن طريق التناقش فيما بيننا حول نظرياتٍ متحجرة وعقائدية، ولا عن طريق مقابلة عقائد هي جد فقيرة، وتكاد أن تكون خاوية حين يتعلق الأمر بالسر، بل أن نضع جنباً إلى جنب خبراتنا بالإله. وربما بعد ذلك لا يصير للكلمات معنى، وتنغرس فينا بعمق هذه الصرخة الحارقة لتجربتنا، كعلامة انتمائنا لنفس إلهٍ واحد)[٢].

---

(١) من أنا في قولكم أنتم (٨ ـ ١٢).
(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٣).

هذه نهاية المطاف مع غالينـدو نحو الجذر. إنه اعتقاد ألوهية المسيح وأنه ابن الله، والعيش في ذلك عن طريق التجربة، التي يسميها أولياؤه من أهل وحدة الوجود الذوق. فلا عجب أن تهوي قلوب بعضهم إلى بعض، فإن ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف. وجدير بالذكر أن غالينـدو أثبت أبيات ابن عربي المشهورة في وحدة الأديان[١] باللغة العربية على الغلاف الخلفي لكل واحدٍ من كتبه الثلاثة في الحوار الإسلامي ـ النصراني. وحين سألته عن سر ذلك قال:

(إنني أعتقد أن هذا النص هو أفتح وأوسع نصٍ في الإسلام يتقبل الآخرين. فقلت له: ماذا عن التقاليد الأخرى كالهندوسية والبوذية، وغيرهما. فأجاب: (على مقتضى الفهم الصوفي، الأمر يتسع للجميع. ونحن في كريسلام لم نرفض أحداً، ولكن الجهود القائمة حالياً بين المسلمين والمسيحيين.

قلت: وماذا عن اليهود؟ لم يرد لهم ذكر!

فأجاب: لقد أجلنا الحديث مع اليهود حتى يتبين موقفهم من القضية الفلسطينية[٢].

قلت: لكن هذا خلطٌ بين السياسي والفكري!

فأجاب: نحن لم نرفضهم، وهم لم يأتوا إلينا.

قلت: هل تقصدون الوصول إلى نوعٍ من الدين الموحد من الإسلام والنصرانية؟

---

(١) التي مطلعها: لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي... الخ وقد تقدم ذكرها.

(٢) ترى أي موقف ينتظره غالينـدو لليهود من القضية الفلسطينية بعد نصف قرن من الاحتلال والإذلال والتشريد وتدنيس المقدسات.. الخ؟ أم هو الصلح المزعوم الذي احتضنته بلاده في ذكرى سقوط غرناطة؟

فأجاب: علينا أن نمضي في طرح الآراء والفهم المتبادل، ثم نصل إلى ما يقودنا إليه البحث(١).

والحق الذي لا مرية فيه، أن غاليندو قد حزم أمره، وبيّت النية، بعد أن وقع مريضاً في عيسى، وراح يستدرج أهل الإسلام إلى بيئته الموبوءة، ومؤتمراته المأفونة، وقد نهى ﷺ أن يُورَد المُمرِض على المُصِحَّ(٢).

وصدق الله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النساء: ٨٩].

❁ ❁ ❁

(١) جرت هذه المحاورة في مكتبه في (دارك ـ نيومبا) بمدريد يوم الأربعاء ٥/ ٤/ ١٤١٩هـ.

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٣١)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٣، ١٧٤٤).

المبحث الثالث

محاولات «صن مون» لتوحيد الأديان

تعصف بالعالم النصراني منذ بضعة عقود ظاهرة «المذاهب الدينية الجديدة»، خصوصاً في أمريكا وأوربا، في دلالة واضحة على حالة القلق والملل والفاقة التي تجثم على الضمير الإنساني من جراء الطغيان المادي، والفكر الإلحادي، الذي ساد في هذه الفترة، وعجز المؤسسات النصرانية الطبيعي عن سد تلك الفاقة، وإطفاء العطش الفطري نحو الإيمان الصحيح الذي تستريح إليه النفوس، وتطمئن به القلوب.

فمن ثم نشأت مذاهب شتى بعضها من داخل الفكر الديني النصراني، وبعضها وافدٌ مع «الطيور المهاجرة» من الشرق الوثني، حيث باضت وفرّخت وبنت أعشاشها في ذلك الخواء الروحي المتهيء لتلقف ما هبَّ ودبَّ من الأفكار التافهة، والعقائد المنحطة بغية العثور على غذاء الروح.

ويصف د. محمد هلال هذه الظاهرة وتوجهاتها العامة بقوله:

(تنتشر المذاهب الدينية الجديدة في أوربا وأمريكا بشكلٍ ملفتٍ للنظر، وهناك منها ما يناسب كل الأذواق والميول. وعلى سبيل المثال سيجد الشباب الحائر المتلهف للمطلق، مذاهب مثل: «أبناء الله»، أو «الثورة للمسيح». أما المتعطشون للخوارق فستغريهم المذاهب الشفائية مثل «القلوب الثلاثة المقدسة». ومريدو الإخفائية سيتوجهون نحو الروحانية والتنجيم والسحر. أما العقلانيون فستقنعهم المذاهب العلموية مثل «العلم المسيحي»، و«علم العلوم». والمغرمون بالشرق ستجتذبهم

المذاهب الباطنية مثل «التأمل المتسامي»، و«يقظة كرشنا»، و«الجورو مهراجي»، و«السوكاجاكي»، و«البوذية التأملية». بينما يتجه القلقون إلى المذاهب الألفية المبشرة بقرب عودة المسيح، مثل «المورمون»[١] و«الإدفنتست»[٢] و«شهود يهوه»[٣][٤].

ومن بين هذا الركام من العقائد والنحل، وجدت «المونية» Moonism التي تنسب إلى مؤسسها الملياردير «صن مون»، لتلبي نزعةً تراود الكثير من أدعياء التدين، نحو توحيد الأديان.

إننا أمام محاولة متطرفة تسعى لا إلى تقارب الأديان، ولا إلى تعايش الأديان، بل نحو دمج الأديان وتوحيدها ضمن إطار فكري ساقط متهافت، توحي به شياطين الإنس والجن، وتسنده بلايين الدولارات.

---

(١) المورمون Mormons أو: كنيسة المسيح لليوم الأخير: فرقة دينية أسسها ١٨٣٠ جوزف سميث في نيويورك، بروتستانتية، ومركزها الرئيسي مدينة «سولت ليك». ترتكز معتقداتهم على الكتاب المقدس، وكتاب المرمون، ورؤى سميث، كما وردت في كتابي «العقائد والمواعيد» و«الدرة الثمينة». وتتشكل الكنيسة من اثني عشر رسولاً. وتتميز بأهمية الكشف، والتشديد على فصل الحياة الروحية عن الزمنية. وقد أباحت الطائفة في طور من أطوارها تعدد الزوجات. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٤٩١).

(٢) جماعة تضم طوائف دينية متقاربة. ترتكز عقيدتهم المميزة على الاعتقاد بمجيء المسيح الثاني. ويعتمد الإدفنتست على تعاليم وليم ميلر (١٧٨٢ ـ ١٨٤٩م)، الذي كان قد تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في ١٨٤٣، ثم غير رأيه إلى ١٨٤٤م، ثم قرر أتباعه أن زمن رجوع المسيح غير محدد، عندما تحصل قيامة الأموات ويبدأ العصر الألفي! وهم يقدسون يوم السبت، ولهم نشاط تنصيري واسع النطاق. وقد انقسموا إلى عدة جماعات. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٠٠).

(٣) شهود يهوه: فرقة أسسها في الولايات المتحدة تشارلس روسل عام ١٨٧٤م. لا يؤمنون بالثالوث، ولا بالمسيح إلهاً، بل شاهداً أسمى ليهوه.

(٤) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٥٣ ـ ٥٤).

أولاً: السيرة الذاتية لـ «صن مون»:

■ ولد في كوريا الشمالية عام ١٩٢٠م لعائلة تنتمي إلى «المذهب الكالفني»[١] البروتستانتي. وكان اسمه حينذاك «يونغ ميونغ مون»، ثم تغير لاحقاً إلى: «صن ميونغ مون» وهو الذي اشتهر به. ثم سُبق بـ «ريفيراند» أخيراً.

■ درس «الهندسة الكهربائية» في اليابان، ورجع إلى بلاده عام ١٩٤٥م.

■ التحق عام ١٩٤٦م بمجموعة دينية في العاصمة «سيئول»، وأمضى معها ستة أشهر في «دير إسرائيل». كوَّن فيها أفكاره الأساسية.

■ اعتقله الشيوعيون في كوريا الشمالية بسبب الإخلال بالنظام العام، والقيام بممارساتٍ جنسية إباحية، وأطلقت سراحه قوات الأمم المتحدة عام ١٩٥٠م، واعتقل ثانية في كوريا الجنوبية بسبب «الزنا»، ثم اعتقل ثالثة عام ١٩٥٥م، بسبب ممارسة طقوس جنسية، وكان قد طلق زوجاته الأربع.

■ أسس في مطلع الخمسينيات «كنيسة توحيد النصرانية العالمية» في كوريا، ونشر كتابه «المبادىء الإلهية» عام ١٩٥٧م، ونال اعتراف السلطات الكورية الجنوبية بكنيسته عام ١٩٦٣م.

■ شرع منذ عام ١٩٦٥م في نشر دعوته عالمياً عن طريق المحاضرات، ولاقى نجاحاً في الولايات المتحدة الأمريكية، مع تنامي ثروته المالية الهائلة، ثم انتقل فعلياً إليها عام ١٩٧٣م، وعرف بموقفه

---

(١) نسبة إلى كالفن (يوحنا) Calvin (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م). «إصلاحي فرنسي». نشر في فرنسا وسويسرا مذهباً حمل اسمه. أنشأ في جنيف حكومة ثيوقراطية. له كتاب: «الأسس المسيحية». جُعل منه أكبر لاهوتي عرفه «الإصلاح». المنجد في الأعلام (٥٩٢).

المؤيد للرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» في فضيحة «ووترجيت» الشهيرة، ثم بدعم البرنامج السياسي للرئيس رونالد ريغان في أمريكا الوسطى.

■ في عام ١٩٧٥م تقدم بطلب انضمام كنيسته لمجلس كنائس مدينة نيويورك الذي يضم ١٧٠٠ كنيسة بروتستانتية وأرثذوكسية، فقوبل طلبه بالرفض.

وتعد المرة الأولى التي يرفض فيها المجلس طلب انضمام منذ تأسيسه قبل ثلاثٍ وثلاثين سنة.

■ سجن لمدة سنة ونصف في السجن الفدرالي في كنكتيكت Connecitcut عام ١٩٨٢م، حين قامت الهيئة الفدرالية لضريبة الدخل في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار الحركة المونية شركة تجارية، وليست منظمة دينية، بحيث ألغت حق الإعفاء من الضريبة الخاص بالحركة الدينية، وأدين «مون» بتهمة التهرب من دفع الضرائب البالغة ١٦٢ ألف دولار، للفترة من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٨٥م. ولكن مون وأتباعه استغلوا هذا الحدث بوصفه «اضطهاداً دينياً» يستدرون به عطف رجال الدين والمجتمع، فتظاهر ١٧٠٠من المعجبين به فيهم اثنا عشر قسيساً أمريكياً، للمطالبة بالإفراج عنه، فخفف الحكم بذريعة حسن السيرة والسلوك.

■ قام عام ١٩٨٣م بجولة أوربية لنشر دعوته، ولكنه لم يقابل بترحاب، ورفضت سلطات بون ـ ألمانيا الغربية ـ استقباله، بوصفه «شخص غير مرغوب فيه».

■ رفضت حكومة كوريا الجنوبية إقامة كنيسة لأتباع مون قرب البرلمان في سيئول، ووافقت على إقامتها على بعد ثلاثين ميلاً خارج العاصمة.

■ يملك مون ثروة هائلة من العقارات والشركات والمؤسسات في شتى أنحاء العالم منها: فندق New Yorker في «مانهاتن»، وشركة للنشر تسمى Paragon House، بالإضافة إلى أراضي ذات قيمة عالية في كوريا الجنوبية، وأمريكا الجنوبية، ومئات المطاعم ومحلات بيع المجوهرات، كما أسس جريدة «الواشنطن تايمز» التي يقرؤها خمسة وسبعون ألف قارىء. ويعيش مون حياة بذخ وثراء، رغم أنه يشيع عكس ذلك.

■ يقدر أتباع مون بحوالي مليونين إلى ثلاثة ملايين شخص، منتشرين في مائة وعشرين دولة؛ معظمهم في كوريا، واليابان، والولايات المتحدة، بينما لا يزيد عددهم في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا على ألف شخص.

ويقوم أتباعه بالعمل مجاناً، وبدون تأمين اجتماعي في مؤسساته الصناعية والتجارية[١].

ثانياً: مزاعم «صن مون» في سبيل «توحيد الأديان»:

لا يمكن أن نطلق على ما ادعاه «صن مون» من مزاعم «فكراً» يستحق المناقشة. فهو لا يعدو أن يكون دجلاً وزوراً من جنس ما يتقوَّله الأفاكون، والسحرة والمنجمون، والمتنبئون الكذابون، من دعاوى عريضة، ومخاريق مضحكة.

وسنقتصر فقط على ما له صلة بقضية «وحدة الأديان»، التي اتخذها «مون» عمدة لحركته ودعوته. فقد جاء في نص البيان الذي ألقاه مساعده، وأكبر معاونيه شانج هوان كواك، أمام ثلة من العلماء

(١) انظر: مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦٠ ـ ٦٧)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩١ ـ ٤٩٦)، جريدة المسلمون. الأعداد (٣٥ ـ ٣٨).

والمفكرين المسلمين في إسطنبول عام ١٩٨٥م ما يلي: (تلقى مون الوحي من المسيح سنة ١٩٣٦م، عندما كان في السادسة عشرة من عمره. وفي السنوات التالية تتبع التعاليم الروحانية المشتركة بين مؤسسي الأديان، ودرس عن الأنبياء والقادة الدينيين، أمثال: بوذا وموسى ومحمد وآخرين. ومن خلال هذه الخبرات التي اكتسبها تحقق من أن إرادة الله، والقيم الأساسية، هي التي تجمع بين الأديان والأمم، وتجعلها تعيش في سلام. إن البشرية قد خلقها إله واحد، عانى كثيراً حتى يوحد بجهوده بين الناس. وبطبيعة الحال لم يكن هذا التوحيد لا لون له. أنشأ الله الديانات عن طريق القادة الدينيين «القساوسة» و«الأنبياء»، هؤلاء من اختارهم وأمدهم بالحقيقة والحب. وتطورت الديانات في العالم، ومن خلال الرسل نشر الله أبناءه في كل مكان ليعكسوا بالطرق المختلفة، وبالكنايات، مثالياته الأساسية، ومصادر وأغراض الحياة البشرية، والاتجاهات التي توجه النفس البشرية)[١].

■ وفي كتابه «المبادىء الإلهية» الذي نشره عام ١٩٥٧م، يقدم روايته الخاصة لـ «بدء الخلق»، ليبرز دوره المميز في المسيرة الإنسانية، فيقول: (إن الملاك «لوسيفر»[٢] تحول إلى الشيطان بسبب حسده لآدم، وأغرى حواء حتى جامعته ثم أفسدت آدم. ومنذ ذلك الحين فإن الشيطان يقاوم محاولات الله لإعادة الإنسانية إلى وضعها الأول، أي ما قبل الخطيئة، وعليه يكون التاريخ الإنساني هو تاريخ إخفاقات الله التي سببها الشيطان بخداعه للإنسان. ولكن هذه الحالة من الأمور سوف

(١) عن جريدة المسلمون. عدد (٣٥) السبت ٢١ محرم عام ١٤٠٦هـ ١١ أكتوبر عام ١٩٨٥م (٩).

(٢) لوسيفر Lucifer في عرف النصارى رئيس الشياطين، الملاك الساقط. انظر: المنجد في الأعلام (٦١٦).

تنتهي في زمننا هذا «الأزمان الأخيرة»، وسوف تقوم مملكة الله من جديد قريباً.

وكان الله بجعل الشعب اليهودي كشعب مختار، قد قام بمحاولة لإعادة الإنسانية إلى وضعها الأول، ولكن اليهود خانوا العهد. ومع ذلك فقد نقلوا وعد الله والأمل في الخلاص، ولكنهم لم يعترفوا برسالة عيسى المسيحانية. من ناحية أخرى، فإن عيسى اكتفى بالدعوة إلى الخلاص الروحي، وحيث إنه لم يتزوج، فإنه لم يستطع تأسيس «شعب مختار» جديد، وهو الذي كان سيسمح بالوجود المتصل لله في التاريخ الإنساني.

وهكذا تعتبر مهمة عيسى قد فشلت بصلبه. وعليه فإن الخالق قد قام بعملية إحياء جديدة للإنسانية، حيث في نهاية الزمن أرسل رسوله ليحل المسائل الأساسية للحياة والكون، واسم هذا الرسول «صن ميونغ مون»[١].

■ وكسائر الدجالين والمشعوذين يقحم أموره الشخصية في منظومته الدينية، فيجعل من زواجه بزوجته الخامسة «هن هاك جا» عام ١٩٦٠م تأويلاً لعرس الحَمَل[٢]. ويلقب زوجته بـ «أم الكون» أو «الأم الحقيقية»، ونفسه بـ «أب الإنسانية الجديدة»، وأطفالهما بـ «الأطفال بلا دَنَس»، وعائلتهما النواة الأولى أو الخلية الأساسية للعائلة الموحدة[٣].

---

(١) عن مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦١ ـ ٦٢).

(٢) جاء في سفر رؤيا يوحنا من العهد الجديد: (لنفرح ونبتهج ولنمجد الله، فقد حان عرس الحَمَل. وعروسه قد تزينت، وخُولت أن تلبس كتاناً براقاً خالصاً. فإن الكتان الناعم هو أعمال البر التي يقوم بها القدِّيسون. وقال لي الملاك: اكتب: طوبى للمدعوين إلى وليمة عرس الحَمَل). رؤيا يوحنا (١٩/ ٧ ـ ٩).

(٣) انظر مفاهيم معاصرة (٦١، ٦٢، ٦٣).

■ جاء في القانون الأساسي لحركة «مون» المنقح سنة ١٩٨٤م ما نصه: (إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إلهٍ واحد، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية)[١].

■ ومن مخاريق «مون» زعمه أن الله قد اصطفى شعباً مختاراً جديداً هو الشعب الكوري، وأرض ميعادٍ جديدة هي كوريا. (ولذلك جاءت حملة مون ضد الشيوعية، وبهدف التوحيد النهائي للكوريتين. وجاء تقدير «مون» لدور الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة العالمية)[٢].

■ اعتمد «صن مون» في تفعيل حركته على عنصري السياسة والاقتصاد. فأقام علاقاتٍ واسعة مع العناصر المؤثرة في المجالات السياسية والعسكرية في بعض دول آسيا وأمريكا الجنوبية، كما أسس مشاريع استثمارية عملاقة من التبرعات التي يبذلها مؤيدوه بسخاء، سيما حين كان يرفع شعار محاربة الشيوعية. وقال: (علينا أن نحتضن الوسط الديني بذراع، والوسط السياسي بالذراعٍ الأخرى)[٣].

■يركز على أوساط الأكاديميين، ورجال الإعلام، ويستحوذ على الشباب بأساليب شبيهة بأساليب الباطنية[٤].

ثالثاً: المحاولات العملية لـ «صن مون» لتوحيد الأديان:

سلك مون أسلوب العمل المؤسسي المنظم لنشر دعوته. فأسس في وقتٍ مبكر في مطلع الخمسينيات «الكنيسة الموحدة العالمية» أو «الكنيسة التوحيدية». وقد تفرع عنها بعد انتقاله للولايات المتحدة:

---

(١) عن: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩٢).
(٢) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦٢).
(٣) المرجع السابق (٦٦).
(٤) انظر: جريدة المسلمون. عدد (٣٨) السبت ٢٢ صفر عام ١٤٠٦هـ (٢).

«المؤسسة العالمية المتحدة للأديان» «IRF»، والتي تشرف بدورها على «المجلس العالمي للأديان» الذي نيط به عقد المؤتمرات العالمية لتوحيد الأديان.

المجلس العالمي للأديان: Council For The World's Religions:

ويترأسه «صن مون»، ويشغل منصب مساعد رئيس المجلس شانج هوان كواك. ومن أبرز أعضائه: اليهودي فرانك كوفمان، والقس الكاثوليكي يوسف كلارك.

وقد جاء في مذكرة المجلس أن أهدافه تتلخص في:

- (المناداة بوحدة الإنسانية.
- منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف.
- دعوة الناس من كل الأديان إلى نوعٍ من الوحدة الروحانية، واحترام خصوصيات كل دين.
- تشجيع الفهم المتبادل، والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم.
- معاونة هؤلاء المتطلعين إلى إيجاد تناسقٍ وانسجام بين الأديان، والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية.
- توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشاكل الإنسانية العامة.
- الدفاع عن حقوق الإنسان، بما في ذلك حق حرية الاعتقاد الديني وممارسته.
- التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية، عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة، وتحسين حال البشرية)[1].

---

(١) انظر: جريدة المسلمون. عد (٣٥). السبت ٢١ محرم عام ١٤٠٦هـ ١١ أكتوبر عام ١٩٨٥م.

٤٥٤٥